الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أحمد دراية – أدرار–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الحجاج في خطبة مسجد "كتشاوة" للشيخ البشير الإبراهيمي.

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: دراسات جزائرية في اللغة و الأدب

إعداد الطالبين :

✍ خير الدين دربالي

✍ محمد مبروكي

إشراف:

أ. عبد الله كروم

السنة الجامعية :1436/ 1437هـ – 2016/2015م

الإهداء

أهدي هذا العمل المبارك العلمي إلى كل من :

الوالدين الكريمين.....

والإخوة الأعزّاء.....

شيوخي و أساتذتي الكرام و على رأسهم الأستاذ المشرف كروم عبد الله

إلى الكشافة الإسلامية الجزائرية و جمعية همسة أمل للخير التضامنية

إلى جميع الأصدقاء الأوفياء ....أينما كانوا

الطالب: مبروكي محمد.

الإهداء

أهدي هذا العمل:

إلى من كانا عونا لي في كل مكان وزمان..... والدي العزيزين، وإخوتي وأخواتي.

إلى من أخذت عليه عِلمَي الفقه والنحو.....العلامة الشيخ "المكي " حفظه الله.

إلى إخواني بمدينة "بوسعادة."..... ياسين لطرش،ومسعود كواكة.

إلى إخواني بالجنوب .....عبد العزيز ودحان العيد.

دربالي خيرالدين

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين وبعد:

شهد الأدب الجزائري منذ القديم فنونا نثرية عدة، إلى جانب الفنون الشعرية؛ وقد تمثلت في الرسالة، والوصية، والرحلة، والخطابة، وغيرها.برع فيها الكثير من الأدباء وتألقوا خاصة في فن الخطابة.

الذي أبدع فيه الحكام الرستميون الذين كانوا أئمة يدعون رعيتهم إلى امتثال دعوتهم، ك: "عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم"وغيرهم، وصولا إلى العهد العثماني والجزائر لا تزال تتألق بخطبائها في شتى الموضوعات، إلى أن ظهر الأمير عبد القادر الجزائري النموذج اللامع للأدباء في القرن 19م، الذي ظل متمسكا بالتراث القديم يسبك على منواله بالرغم من الظروف السياسية، والاقتصادية، والثقافية التي كانت تمر بها البلاد آنذاك.

وبعد مرور قرن من الاستعمار الفرنسي في أرض الجزائر، شهد النصف الأول من القرن العشرين ميلاد جمعية العلماء المسلمين التي أسهمت إسهاما بارزا على المستوى الأدبي شعرا ونثرا وكان من أهم أهدافها نشر الوعي الديني، والسياسي، ومحاربة الاحتلال، فالحديث عن الفنون النثرية في هذه الحقبة الزمنية، يظهر لنا أن هناك فنين نثريين من بين الفنون النثرية الحديثة قد تطورا على أيادي أعضاء جمعية العلماء المسلمين هما: المقالة، وفن الخطابة؛ هذا الأخير اهتمت به الجمعية اهتماما خاصا إذ لا نستغرب في ازدهار هذا الفن وتطوره عند أعضاء الجمعية إذ أن أغلبها رجال فقه وأئمة ودعاة، نذكر منهم الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان له الحظ من هذا الفن.

من هنا فقد عمدنا إلى الشيخ البشير الإبراهيمي بدراسة خطبته، معتمدين على أهم النظريات في البلاغة العربية ألا وهي الحجاج. ذلك أن الدراسات السابقة لم تنظر إلى الحجاج الخطابي بنظرة متأنية خاصة في خطب الإبراهيمي.

من هذا المنطلق كان سبب اختيارنا للموضوع أمرين اثنين:

الأول: هو الاهتمام بالموروث العربي والتراث الجزائري وتمثل ذلك في آثار الإبراهيمي وخاصة خطبته التي تعتبر أشهر خطبة في الجزائر صدح بها الإبراهيمي بعد مجيئه من أرض المشرق.

أما السبب الثاني، فهو غياب استثمار الآليات التداولية والتي لم نألفها شائعة في الدراسات الأكاديمية والأبحاث الجامعية وتكاد تكون نادرةً فيهِما.

وبعد اطلاعنا على الموضوع كانت اشكاليته: كيف وظّف الشيخ البشير الإبراهيمي الأساليب الحجاجية في خطبته وإلى أي مدى ساهمت في العملية الإقناعية ؟

اعتمدنا المنهج التداولي كونه الأنسب لهذا النوع من الدراسات محاولين استخراج الحجج شبه المنطقية والآليات البلاغية،كما اعتمدنا المنهج المقارن في المقارنة بين الحجاج عند العرب والغرب .

وكان تقسيم بحثنا إل فصلين يتصدرهما مدخل، وكل فصل يضم مجموعة من العناصر.

تكلمنا في المدخل عن تعريف الخطاب والخطابة وحال هذا الفن عند الإبراهيمي، أما بخصوص الفصل الأول فقد كان فصلا نظريا تناولنا فيه تعريف الحجاج وأنواعه. ثم تطرقنا إلى الحجاج عند العرب والغرب بعد ذلك الحجاج في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

أما الفصل الثاني وهو الجانب التطبيقي تكلمنا بداية عن خطب البشير الإبراهيمي وموضوعاتها ثم عرجنا إلى تحليل الخطبة ومناسبتها عاملين على استخراج الآليات البلاغية والروابط الحجاجية والحجج شبه المنطقية والمنطقية في خطبة جامع "كتشاوة " التي اهتدينا إليها.

أما بخصوص الأبحاث السابقة فقد كان منها كتاب "الحجاج في القرآن الكريم" لـ :عبد الله صولة، "اللغة والحجاج" ، لـ :أبو بكر العزاوي، "الحجاج في الشعر العربي القديم"، لـ ساميةالدريدي، وأطروحات دكتوراه منها "الحجاج في كتاب البيان والتبيين للجاحظ "للدكتورة ليلى جغام، ورسائل ماجستير كرسالة "الحجاج في كتاب المثل السائر" لابن الأثير للأستاذة نعيمة يعمران جامعة تيزي وزو،والحجاج في كتاب "الإمتاع والمؤانسة" للأستاذ حسين بوبلوطة جامعة باتنة، ومن نفس الجامعة "تجليات الحجاج في القرآن" (سورة يوسف أنموذجا) للأستاذة حياة دحمان.

وتمثلت الصعوبات والعوائق التي صاحبت البحث كثرة المادة المعرفية مع تداخلها التي تفتقر إلى تقسيم منهجي، زيادة على ذلك تحديد صفحات البحث والتزامنا قدر المستطاع بهذا الشرط.

في الأخير نتقدم بالشكر الخالص إلى أستاذنا المشرف أ/عبد الله كروم. على صبره معنا شاكرين فضله علينا في التوجيه والإرشاد.

مبروكي محمد، دربالي خيرالدين

أدرار في 2016/03/31م.

مدخل

عرف الأدب الجزائري الحديث أجناسا أدبية مختلفة، ولعل أهمها وأشهرها الخطابة، التي كان لها دورا هاما ومكانة كبيرة في تلك الحقبة، خاصة عند أعضاء جمعية العلماء المسلمين التي استعملتها من أجل بث أفكارها. من هنا نتساءل كيف يعرف هذا الفن؟ وكيف هو حاله عند الشيخ البشير الإبراهيمي؟.

❖ تعريف الخطاب وفن الخطابة:

✓ الخطاب لغة:

جاء في لسان العرب: «الخِطَاب و المخَاطَبة: مراجعةُ الكلاَم، وقد خَاطبَه بالكلامِ مخَاطبةً وخِطاباً، وهُما يتخاطبَان، وفصْل الخِطاب: أن يفصِل بين الحقِّ والباطِل، ويميز بين الحكم وضدِّه»[1].

والخِطاب كما ورد في كتاب الكليات هو:« الكلاَم الذي يقصَد به الإفهام، إفهامُ من هو أهلٌ للفَهمِ، والكلام الذي لاَ يقصَدُ إفهام المسْتمِع فإنهُ لا يسَمى خِطاباً».[2]

و وَرَدَ في معجم ألفاظ القرآن الكريم معنى خَاطَبَ (خاطبَهُ مخاَطَبةً وخِطَاباً: تكلَّم معَهُ، والخَطْبُ هو الشيء الذي تقع في المخَاطَبَةُ).[3]و قد ورد لفظ الخطاب في قوله تعالى: ﴿ ﴾[4] وقد وردت كلمةُ الخطَابِ في " معجم الوسيط "«بمعنى الكلاَم والرسَالة »[5]، وهو المواجَهَةُ بالكَلام، أو ما يخاطب به الرجل صاحبه، ونقِيضُه

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار الأجيال ودار لسان العرب، بيروت،ط2، 1988م، ج2 ، ص 856.

[2] أيوب الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح، عدنان درويش، مؤسسة الرسالة ، بيروت، دط ،1992م ص 419.

[3] مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،د.ط،1990م ، ج2 (مادة خطب)،ص953.

[4] سورة ص، الآية، 19.

[5] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، أخرجه إبراهيم مصطفى و آخرون، دار الدعوة إستنابول، دط، 1989م ص 243 .

الجواب، والخِطَابُ هو:«مقطع كلامي يحمل معلومات يريد المرسل المتكلم أو الكاتب أن ينقلها إلى المرسل إليه أو السامع أو القارئ، ويكتب الأول رسالة ويفهمها الآخر بناءً على نظام لغوي مشترك بينهم»[1] .

في حين وردت لفظة الخطاب في "المنجد في اللغة العربية المعاصرة "«معنى الكلام الموجه إلى جمهور من المستمعين في مناسبة من المناسبات. »[2]، ويعرف أسلوب الخطاب أيضا بأنه أسلوب يعتمد على المحسنات اللفظية والتأثير العاطفي .

إن الخطاب كمفردة لغوية يشير إلى مصدر الفعل خاطب يخاطب خطاباً ومخاطبة، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم، أي نقله من الدلالة على الحدث المجرد من الزمن إلى الدلالة الاسمية، فأصبح قديماً يدل على ما خوطب به وهو الكلام [3].

ونستنتج مما سبق ذكره أن الخطاب في جذوره اللغوية القديمة، لا يكاد يغادر حقل الكلام الذي غرضه الإبانة والإيضاح، وإيصال رسالة يفهمها المستمع أو المتلقي.

- ✓ **الخطاب اصطلاحا:**

لقد عرف صاحب كتاب معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، "سعد علوش" الخطاب بقوله: « هو مجموع التعابير الخاصة التي تتحد بوظائفها الاجتماعية ومشروعها الإيديولوجي» [4] ، أما "طه عبد الرحمن «فيرى الخطاب على أنه هو المنطوق به –أي الخطاب– الذي يصلح أن يكون كلاماً، وهو الذي ينهض بتمام المقتضيات التواصلية الواجبة في حق ما يسمى خطابا ، إذ حد الخطاب أنه كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض الإفهام مقصوداً مخصوصاً »[5]. من هذا التعريف يظهر الفرق بين الخطاب والنص على أساس أن الخطاب كل ما هو منطوق.

---

[1] محمد العدناني، معجم الأخطاء الشائعة، (مادة خطب)،مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1980، ص79.

[2] لويس معلوف، المنجد في اللغة العربية، دار الشرق، بيروت، دط،2000 م، ص 396.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت،ط1، 2004 م،ص 36.

[4] سعد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1985م،ص83.

[5] طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ا لمغرب،دط، 1998م، ص 215.

وقد اجتهد في تعريف الخطاب اصطلاحاً عددا من الباحثين، إذ قدموا مجموعة من الاجتهادات والتعريفات الخاصة بالخطاب، ومن بين تلك التعريفات التي ينتمي معظمها لمدارس ما بعد الحداثة الأدبية ، قول "هاريس": " إن الخطاب ملفوظ طويل أو متتالي من الجمل " وقول هارتمان وستورك

«إن الخطاب نص محكوم بوحدة كلية واضحة، يتألف من صيغ تعبيرية متوالية، تصدر من متحدث فرد، يبلغ رسالة ما »[1].

ولقد ذهبت أغلب الدراسات اللسانية الحديثة إلى دراسة الخطاب المحكوم بالموقف والمقام.تحت اسم la pragmatiqeu أي النفعية أو التداولية [2].

هذا الأخير لا يختلف بدوره عن التعاريف السابقة من حيث التواصلية ومما يتبين أيضا من خلال التعاريف أن الخطاب هو كل نص متماسك الوحدات موجه إلى الآخر أو عملية تواصلية تشترط مرسل ومتلقي.

[1] عبد الله ابراهيم، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999م، ص 108 .

[2] منذر العياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002م، ص14.

✓ فن الخطابة :

لغة: يذكر ابن منظور في كتابه: " لسان العرب "المفهوم اللغوي للخطابة فيقول:« خَطَبَ: فلانٌ إلى فلان فخَطبَه، و أَخْطَبه أيْ أجَابَه والخِطاب والمخَاطبة: مُراجعة الكلام، وقد خَاطبه مخاطبةً، وخِطاباً و هما يتخَاطبَان .

والخُطبة مصدر الخَطِيب، وخَطَب الخَاطِب على المنْبَر، واخْتَطَب يخْطِبُ خِطَابَه، واسم الكلام الخُطبَة، و يقول أبو إسحاق أن الخُطبَة عند العرب: الكلام المنثُور المسجُوع، ونحوُه التهذِيب، والخُطبَة مثل الرِسالة لها أولٌ وآخِر »[1].

اصطلاحا: من أقدم الفنون النثرية عند العرب وهي « فن مشافهة الجمهور لإقناعه واستمالته »[2] ، فلا بد فيها من المشافهة وبحضور جمهور مُصْغٍ ومستمع ومدرك لما يلقيه الخطاب، كما يفترض فيها الإتيان بالبراهين الساطعة والحجج الدامغة لإقناع المتلقين، وإخضاعهم لما يقال.

والخُطبة هي من أشد الأنواع الأدبية التزاما، لأنها تهدف إلى التأثير والإقناع، معبرة عن فكر الخطيب عقيدته، ورأيه في المشكلات التي تخبط في المجتمع ويعاني من استفحالها، ويحاول من خلال نظراته الفاحصة وملاحظاته المتمحصة، تشخيص دواء ناجع وترياق نافع، يكون كفيلا باستئصال هذه الأدواء والعلل.

يتبين من خلال التعاريف أن الخطابة فن نثري قولي، مبني على قواعد وأسس غايته الأولى التأثير في المتلقين أو المستمعين، وإقناعهم بالحجة والبرهان.

كما أنها تشمل على عناصر ثلاث: وهي الخطيب وهو القائل أو المرسل، والخطبة، والمتلقي وهو المستمع أو المستقبل.

كما نشير بالذكر أن للخطبة لها عدة أنواع فمنها على سبيل المثال لا الحصر، الخطبة الدينية، و السياسية، والعلمية و التاريخية ...الخ.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص273.

[2] أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار النهضة للطباعة و النشر و التوزيع،دط، 2002، ص 05.

❖ فن الخطابة عند البشير الإبراهيمي :

شهدت الخطابة في عهد الإبراهيمي ازدهاراً بارزاً، وهذا لما تميز به من فصاحة لسان وبيان، وسرعة البديهة وصفاء القريحة، وقوة الحافظة، ورسوخ العلم وسعة الفهم، وبذلك تستمد أصالتها من العصور الذهبية لهذا الفن ولعل اهتمام الإبراهيمي بالخطابة وشغفه بها نتيجة لشعوره بأهميتها ودورها الفعال، في تحريك العواطف والمشاعر وشد العقول، ولفت الانتباه، كما أنها كانت وسيلة ممتازة وجسر تواصل وأرضا خصبة تزرع فيها الجمعية أفكارها وفلسفتها. ولما كانت الخطابة ذات أهمية بالغة، ومنزلة عالية عند الشعوب والمجتمعات، فإن الإبراهيمي قد قارنها بالتمثيل عند الأمم، حيث قال:« التمثيل والخطابة عند الأمم توأمان، وأخوان شقيقان .وإنّ منزلتهما من داوعي التهذيب والتربية الفاضلة لأرفع منزلة، وإن مكانتها من بين مقومات الأخلاق، وما بنيت نهضة من النهضات الأخلاقية في الأمم الجديدة إلا والتمثيل والخطابة في بنائها القسط الأوفر والحظ الأول».[1]

لقد شغف الإبراهيمي بالخطابة وأجاد أساليب التعبير فيها، وتوسلها لنشر دعوته بين الجماهير وهو يتنقل بين أصقاع كثيرة، كما خطب في مناسبات متعددة داخل الوطن وخارجه، غير أن هذه الخطب لم تجمع، فقد ضاع معظمها ولم يبق منها إلا القليل، ويفسر سبب هذا الضياع الأستاذ محمد عباس بقوله: « و المؤكد أن الميزة الغالبة على هذه الخطب الارتجال، لأن صاحبها ظلَّ صِنْوَ الأسفار، وكانت ظروف السفر والترحال تحول بينه وبين تحضير هذه الخطب، علاوة على الخبرة الفائقة في إدارة الكلمة .»[2]، و يكمل محمد عباس قائلا: «انبرت خطب الشيخ الإبراهيمي إلى التنوع و الشمولية، فكان نتاج ذلك كَمٌّ هائل من الخطابات، بيد أنّ هذه الوفرة لم تقف حائلا أمام ضياع الكثير من خطبه إلى جانب المحاضرات ودروس متنوعة لا تعدّ، كان لها ثقلها في الميدان الأدبي والثقافي ».[3]

---

[1] آثار الإمام الإبراهيمي،جمع و تقديم، أحمد طالب الإبراهيمي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م، ج 1، ص 67

[2] ينظر: محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ديوان المطبوعات الجامعية بوهران، دط، دت، ص 185.

[3] المرجع نفسه، ص 185.

وهذا مما جعل الإبراهيمي خطيبا مفوها، يتبوأ في هذا الميدان مكانة راقية، كما نجد "عبد الله الركيبي" واصفا هذا المقام العالي الذي تقلده الشيخ الإبراهيمي في الخطابة بقوله: « وهذا ما جعله ينتمي إلى مدرسة البلغاء العرب وكتابهم وخطبائهم المشهورين بالقدرة على توليد المعاني والاحتفال الذي يأتي عفو الخاطرة، أو لذاته أحيانا»[1]. ويتفق جميع الدارسين على أن الإبراهيمي يمتلك قدرات خطابية فقد كان –رحمه الله – إماما في العربية وبلاغتها تفقه في أسرارها، و تغذى بأدبها، و استنار بقرآنها، وكان خطيبا يهز القلوب بسحر البيان، و يعيد للأذهان ما كان للخطابة العربية من نفوذ وسلطان، في عهد قس بن ساعدة *و سحبان بن وائل**، ويؤكد هذا "عبد الملك مرتاض" مظهرا إعجابه لزعَامة الشيخ الإبراهيمي لفن الخطابة بقوله: «إن هذا الخطيب كان شديد العارضة، فصيحا لَسِناً، ساعده محصول من اللغة الوفير، وإلمام بالأمثال وبراعة في حسن إجرائها في مضاربها، ومعرفة عميقة بطرائق الكلام، وقدرة على التصرف فيه ». [2]

لقد جمع الإبراهيمي بين ثقافة الخطاب وصفات الخطيب، كما تبين لنا أن الخطابة عنده لم تكن غاية تُقْصد لذاتها بغرض المتعة الفنية واستعراض المهارات اللغوية، وإنما كانت أداة ومطية، يستعين بها في بث أفكار التوعية والإصلاح وتنوير عقول السامعين واستمالتهم، متكئا على الخطاب التأثيري والإقناعي في آن واحد.

كما أن الخطيب لا يبلغ مبلغ التأثير في الآخر، إن كان هو ذاته منصاعاً لسُلطة المستعمر، بخاصة إذا ما تعلق الأمر بشخوص تعاضدت مواقفهم الخطابية مع قضايا مجتمعاتهم، على نحو الشيخ الإبراهيمي الذي ظل يحمل في قلبه قضايا أمته التي تعاني من ويل الاستدمار، وينافح فكرة المرجعية الإسلامية المتجذرة في عمق الشعب الجزائري، وهذا حتى يكون التأثير عميقا رصيناً فعالًا، لأن آلية الاستقبال تشتمل على التلقي وتركيب المعنى في علاقة بين إنتاج القول والاستقبال كعلاقة تأثير متبادل لها طابع جدلي، فالخطيب يأخذ بعين الاعتبار المستمعين بمختلف أطيافهم ومشاربهم ومستويات عقولهم وفهمهم ولغتهم، ومنه يستخلص عصارة من خلالها يتخير لهم نوعية التأثير

---

[1] عبد الله الركيبي، الخطابة في النثر الجزائري الحديث، مجلة الأصالة، العدد 25 ، جامعة الجزائر ، جوان 1975 م، ص 64.

* قس بن ساعدة: توفي 23ق.هـ، وهو من كبار خطباء العرب في الجاهلية اشتهر بالحكمة في خطبه وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم.، البداية والنهاية،ج2،ص103.

** هو سحبان بن نظر بن اياس الوائلي ،فصيح وخطيب يضرب به المثل في البيان والفصاحة أدرك الإسلام وأسلم(ت54هـ)، خزانة الأدب،ج2، ص10.

[2] عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، 1931م –1945م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1983، ص 282.

الملائمة، وهذا ما يسمى اليوم في ظل نظرية تحليل الخطاب « إستراتيجية الخطاب التي تنبني على الانفعال و الإدراك و الفهم و التأثر و الذاكرة .»[1].

كان الإبراهيمي يمثل النموذج المثالي الحي في الخطابة بالنسبة للجزائريين، من حيث الأداء والأسلوب بلا منازع فالمتمعن في آثاره من خطب يدرك تماما فكره الإصلاحي الذي ناضل من أجله وسياسته المناهضة للاستعمار التي عاش من أجلها، إلا أنه مما تجدر الإشارة إليه أن ما وصل إلينا من خطب قليلة بما لم يدون، لأن أغلبها كان ارتجالا وقد اشتمل على موضوعات شتى وجد فيها متنفسا له ومرد ذلك إلى الظروف التي سبكت من أجلها.

لقد كانت جمعية العلماء المسلمين الحضن الدافئ الذي ترعرعت فيه الخطابة الجزائرية، وتدرجت في الارتقاء، لما أولاها علماء هذه الجمعية من الرعاية والاهتمام، ووفروا لها من أجواء للنمو والازدهار ولعل خير دليل على ذلك ما ورد في تلك الحقبة الزمنية من صحف ومجلات مثل البصائر، والشهاب وغيرها، أكدت على أن النشاط الخطابي كان في أوجه، زيادة على ذلك تخصيص لجنة خاصة سميت (باللجنة الخطابية)، وتخصيص شهر رمضان للوعظ والإرشاد وإلقاء الخطب ارتجالا في مختلف ولايات ربوع الوطن.

[1] محمد ملياني، الأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي، "مذكرة ماجستير"جامعة وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، السنة الجامعية 2011م-2012م ص 26.

الفصل الأول

- مفهـــوم الحجـــاج.
- أنـــواع الحجاج.
- الحجاج عند العرب والغرب.
- الحجاج في القرآن الكريم والحديث الشريف.

يحتاج الخطيب ليدحض فكرة ما محاولا إقناع القارئ بما يبسطه، إلى أسلوب يصيغ فيه خطابه يعرف في البلاغة بالحجاج. فما هو الحجاج؟ وما هي ضروبه؟.

❖ مفهوم الحجاج لغة واصطلاحاً:

✓ الحجاج لغةً:

يعرف ابن منظور الحجاج بقوله: « والحُجَّة: البرهان، و قِيل الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخَصم قال: "الأزهري "الحُجَّة الوجْهُ الذي يكون به الظَفَر عندَ الخُصومَة، وهو رجل مِحْجَاج أي جدِل. والتحاجُّ التخَاصُم. وجمع الحُجَّة حُجَجٌ، و حِجاج. وحاجَّه محاجة، و حجاج نازعه الحجَّة وحجّه يحُجُه حجًّا، أي غلبه على حجَّته، وفي الحديث: فحجَّ آدم موسى أي غلبه بالحجة. والحجَّة الدليل والبرهان يقال حَاجَجْته فأنا محاجُّ وحَجِيج فَعِيل بمعنى فاعِل، ومنه حديث معاوية: « فجعلت أحُجُّ خصمي أي أغلِبه بالحُجَّة »[1].

أما ابن فارس في كتابه "مقاييس اللغة " فيعرف الحجاج على النحو التالي: يقال حاججت فلانا فحَجَجْته أي غلبته بالحجَّة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حُجَج.والمصدر الحِجَاج[2].

كما نجد "الزمخشري" يتناول كلمة حجاج في كتابه " أساس البلاغة " حيث يقول: حَجَجَ: احتجَّ على خُصومِه بحُجَّة شهباء وبحجج شهبٍ وحَاجَّ خصمَه فحجَّه، وفلان خصْمُه محْجُوج وكانت بينَهُما محاجَّةٌ ومُلاجَّة [3].

فمن خلال هذا المسح السريع لمادة (حَجَج) والتي استفاض في شرحها أساطين اللغة في العصور الغابرة من خلال مؤلفاتهم، نجد أنها تنقسم إلى ثلاثة أجزاء أو دلالات أو معانٍ، فالمعنى الأول: هو المحاجُّ وهو صاحب الغَلبة (الغالب)، والثاني: المحجُوج (المغلوب)، والثالث:الحُجَج التي يتبادها المتخاصمان أو المتجـــادلان.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج2،ص 228 .

[2] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، مقايس اللغة ،دار الجيل، بيروت،ط1، دت، ج 2، ص 30.

[3] محمود بن عمرو الزمخشري جار الله أبو القاسم، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتاب العلمية، بيروت،ط1، 1992م، ص 113.

✓ **اصطلاحا:**

تطرق كل من اللغويين العرب، والغرب إلى تعريف الحجاج (اصطلاحا)، فجاءت تعاريفهم كلها تصب في معنى موحد رغم اختلاف صياغتها، وهو أن الحجاج هو طريقة عرض الحُجَج والبراهين، بهدف التأثير في السامع.

يعرف أيضا على أنه: علاقة بين طرفين –أو عدة أطراف–تتأسس على اللغة والخطاب يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله ،أو يثبت لديه اعتقادا أو يمليه عنه أو يصنعه له صنعا [1].

نجد تعريفا آخر "لمحمد الأمين الطلبة" يقول فيه: «هو علاقات دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب على سبيل الدفع إلى نتائج معينة، وبالتالي فهو –الحجاج– كامن في اللغة..فالحجاج متصل بالعلاقات بين الأقوال في النصوص والخطابات في حين أن الاستدلال متصل بالعلاقات بين القضايا التي تحكم عليها إما بالصدق وإما بالكذب»[2].

يتضح من تعريف"محمد أمين الطلبة" أنه انتحى منحى اللغوي الفرنسي "ديكرو" في أن الحجاج متضمن في اللغة من خلال كتابه الموسوم:"الحجاج في اللغة"largumentation dans la langue

وجاءت في تعريف "عبد الله صولة" للحجاج « هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»[3].

كما نجد "بيرلمان" يحدد مفهوم الحجاج في ضوء البلاغة المعاصرة بوصفه «جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الإقناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع» [1]. وبذلك يعد الحجاج ذا اقناعية تروم دفع المتلقي إلى تغيير اعتقاده.

---

[1] حمادي محمود،من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر والتوزيع ،تونس،ط1 ،1999 ،ص102.

[2] محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2008 م، ص194.

[3] عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية، تونس، دط، دت، ص39.

ونجد الحجاج عند "ديكرو"(dukrot)، يفرق بين معنيين للفظ الحجاج: المعنى العادي، والمعنى الفني ،أو الاصطلاحي والحجاج موضوع النظر في التداولية هو بالمعنى الثاني [2].

ومنه يتكون الخطاب الحجاجي: وهو خطاب غائر موجه غايته إقناع المتلقي بما يحمله من أفكار وما يعرضه من مواقف أو إغرائه بهذه الأفكار وتلك المواقف [3].

كما أن الخطاب الحجاجي يعرض فكرة ما ويحتج لها احتجاجا، قد يكون صارما دقيقا وقد يفتقر أحيانا إلى الصرامة والدقة المنشودين.ويهدف إلى إقناع المتلقي أو إغرائه أو حمله على الإذعان دون إقناع حقيقي ، ونجاعة هذا الخطاب إنما تكمن في مدى قدرته على إقتحام عالم المتلقي والتغيير[4].

والإذعان هو تصديق العقل ما يقوله المخاطب، فأساس هذا الخطاب الحجاجي الارتكاز على دليل معين قصد إثبات قضية من القضايا، وبالتالي اتخاذ موقف معين. فيعتبر الحجاج قوياً.

---

[1] سامية الدريدي، الحجاج غي الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة،بنيته وأساليبه،جدارا للكتاب العالمي ،عالم الكتب الحديث ، الأردن ،ط1، 2008 ، ص21.

[2] صابر حبابشة، التداولية والحجاج، مداخل نصوص، الصفحات للدراسات والنشر ،سوريا-دمشق، ط1، 2008م، ص21.

[3] المرجع السابق، ص35.

[4] حمادي حمود، من تجليات الخطاب البلاغي، ص31.

❖ أنواع الحجاج :

لقد ذكر "طه عبد الرحمن" في كتابه (اللسان و الميزان والتكوثر العقلي) ثلاثة أنواع ،من الحجاج هي: الحجاج التجريدي، والحجاج التوجيهي، والتقويمي، ويختلف كل نوع عن الآخر وذلك حسب اهتمامات كل واحد من هذه الأنواع سواء في الشكل أو المضمون أو في ردة فعل المتلقي .

✓ الحجاج التجريدي:

هذا النوع من الحجاج يهتم فقط بالشكل دون المضمون حيث يعتني بالعبارات دون الاهتمام بالمضمون والمقام، ومنه فالمقصود بالحجاج التجريدي كما يراه "طه عبد الرحمن" «هو الإتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان، علما أن البرهان هو الاستدلال الذي يعنى بترتّب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر على مضامينها و استعمالاتها »[1].

✓ الحجاج التوجيهي:

هذا النوع من الحجاج يهتم فقط بالمخاطب وانشغاله بإيصال رسالته إلى المخاطَب دون الاهتمام بردة فعله ورأيه، إذ أنه إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، علما أن التوجيه هنا هو فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقاؤها لها ولا ينشغل بنفس مقدار تلقي المخاطَب لها ورَدة فعلها عليها، فتجده يولي أقصى عنايته إلى مقصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة، غير إن قِصَر اهتمامه على هذه المقصود والأفعال الذاتية يفضي به إلى تناسي الجانب العلائقي من الاستدلال، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطَب ويجعل هذا الأخير بحق الاعتراض [2].

✓ الحجاج التقويمي :

«هذا النوع من الحجاج لا يتوقف في حدود المخاطِب و خطابه فقط بل يهتم أيضا بردة فعل المخاطب كما سبق الذكر ، بل المقصود بهذا الأخير إثبات دعوى الاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا

[1] طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان و التكوثر العقلي، ص 226.

[2] المرجع نفسه، ص22.

ثانية ينزّلها منزلة المعترض على دعواه، فهنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطَب، واقفا عند حدود ما يتوجب عليه من ضوابط و ما يقتضيه من الشروط بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلقٍ لما يلقى، فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين من المستدل له أن يقوم به، مستبقا استفساراته واعتراضاته, و مستحضرا مختلف الأجوبة عليها، مستكشفا إمكانات تقبلها و اقتناع المخاطَب بها»[1].

ويبدو أن" طه عبد الرحمن" قد أعاد الاعتبار للمتلقي ودوره الفعال في العملية الحجاجية، نظرا لما يثيره من اعتراضات على قول المرسل، حيث أنه إذا اكتفى الحجاج بأقوال المدعي فقط دون اعتراض المتلقي، لن يكون هناك نزاع وجدال بين الطرفين و بالتالي يفقد الحجاج جماله وحيويته وقوته الجذابة، ومن أجل ذلك يمكن أن نقول أن الحجاج التقويمي هو أفضل أنواع الحجاج، لما يتوفر عليه من خصائص العملية الحجاجية .

ويُضِيف بعض الدارسين تقسيمات أُخرى للحجاج وهي :

1_ **الحجاج البلاغي**: وهو الذي يتخذ من البلاغة مجالا له، ويتخذها آلية من الآليات الحجاجية، وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصور البيانية والأساليب الجمالية، أي إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره ومشاعره معا، حتى يتقبل القضية أو فعل موضوع الخطاب[2].

فالبلاغة في هذا النوع هي المجال الذي يستقي منه الحجاج آلياته، من أجل إقناع المتلقي والتأثير فيه، من خلال توظيف الأساليب البلاغية والصور البيانية الطافحة بكل أنواع الجمال .

2_**الحجاج الفلسفي** : هو الذي يتخذ من الفلسفة بعدا من أبعاده، وآلية من آلياته، فتقاس نجاعته بمعايير خارجية كالقوة والضعف والكفاءة أو عدمها، والنجاح أو الفشل في الإقناع، ويكون هدفه التأثير و التقبل.

3_الحجاج التداولي: هذا الحجاج يركز اهتمامه على الجانب التداولي في الخطاب، إذ أن لفظ التداولية يبعث على استحضار نظرية أفعال الكلام في الخطاب، ورصدها فيه بغرض إقناع المخاطب، بالرغم من اختلاف الأبعاد

[1] طه عبد الرحمن اللسان و الميزان والتكوثر العقلي ص 228.

[2] هاجر مذقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مجلة الأثر، العدد5، الجزائر2005م،ص173.

التداولية التي تتيح توجيه الخطاب الحجاجي و الإجابة على التساؤلات والإشكاليات التي تحيط بالعملية التخاطبية والحجاجية [1].

❖ الحجاج عند العرب والغرب:

✓ الحجاج عند العرب:

تجدر بنا الآن أن نقف عند أقطاب البلاغة القديمة الذين وظفوا الحجاج في مؤلفاتهم، وتشكيل بنية أساسية في إبداعاتهم ومنهم:

"الجاحظ"(ت255هـ) ونجده في كتابه "البيان و التبيين" قد تناول فصولا كثيرة فيما يتعلق بالحجاج، ففي الفصل الذي تناول فيه البلاغة، حاول إيضاح هذا المفهوم بالاستشهاد بصحيفة تنتمي إلى الثقافة الهندية إذ يقول: أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون للخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ،لا يكلم سيد الأمة ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة [2]. ففي هذا النص يتضح لنا أن غاية الجاحظ هي الخطاب الإقناعي الشفوي وهو إقناع تقدم فيها لغاية (إقناع) على الوسيلة (اللغة) وتحدد الأولى طبيعة الثانية وشكلها حسب المقامات والأحوال،كما يستشهد أيضا بخطابات من أقوال العرب سواء في النثر أو في الشعر، فهو يتعامل مع كل جنس بوصفه خطابا ويتحفظ بكل جنس بوصفه خطابا ويتحفظ بكل جنس بخصائصه التي تميزه على مستوى الشكل، وهذه من مزاياه النادرة. فمفهوم الخطاب الإقناعي عنده لم يقتصر على جنس بعينه [3].

أفرد "أبو الهلال العسكري"(ت395هـ) في كتابه «الصناعتين» فصلا تحت عنوان: "في الاستشهاد والاحتجاج"، فيعطي تعريفا للبلاغة يحمل مفهوم الوضوح والكشف عن المعنى فيقول: «البلاغة كلما تبلغ به المعنى

---

[1] هاجر مذقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان و نظرية البرهان، مجلة الأثر، العدد5،2005م، ص173.

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح، عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، مؤسسة السعودية بحصر، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1998م، ج1، ص 92.

[3] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،ص 448- 449.

عقل السامع فتمكنه في نفسك في صورة مقبولة ومعرض حسن » [1]. وينقل معنى آخر نقله عن البلغاء العرب «البلاغة تقرب من المعنى البعيد، وتباعد من حشو الكلام، وقرب المأخذ و إيجاز في صواب،وقصد إلى الحجة،وحسن الاستعارة»[2].فوظيفة البلاغة عنده اقناعية حجاجية.

أما" أبو الوليد الباجي" (ت474هـ) فقد أورد في كتابه " المنهاج في ترتيب الحجاج « أن الحجاج يعد علما من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، و لولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة، و لا عُلِم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم»[3].

من هذا الكلام يتبين للقارئ المتمحص، أن الحجاج من العلوم التي تتوفر على أركان ومقومات وطرائق ووجوه لمفهومه، و ربما يمكننا القول بأن الحجاج عند "أبي الوليد الباجي" هو مرادف للجدل، لأنه لولا الجدل لما قامت الحجة التي تفحم الطرف الآخر الذي يريد إثبات رأيه.

ونستخلص أن أبا الوليد الباجي يرى بأن على المناظر أو المحاجج أن يتبع الطريق الصحيح و الذكي للجدل، وأن يكون على علم ودراية كافية لما يحاجج وينافح عليه.

ولقد اشتهر "ابن حزم " المفكر الحجاجي الذي لا يهدأ من السجال والحجاج والجدال مما جعل الكتابة الفلسفية لديه لا تتخذ صورة إنتاج فلسفي منظم ومنسق بل طغى عليها الطابع النقدي والجدال [4].

ولقد أورد فصولا حجاجية تعتمد على الأدلة العقلية، فبلاغة ابن حزم استدلالية إذ هو متمكن من آراء الخصوم وقوة حججهم ومتمرس بعقائدهم كما اشتهر بتشنيع الفرق الضالة ووقف وقفة فضح وتشهير[5].

---

[1] أبو الهلال العسكري، الصناعتين، تح: عبد السلام هارون ومحمد أبو الفضل، منشورات المكتبة العصرية، بيروت،ط1، 1998مـ، ص10.

[2] المرجع نفسه، ص47.

[3] أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط3 ، 2000م ص 08.

[4] محمد آيت حمود، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات،رقم 134، تنسيق حمو النقاري، مطبوعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ،ط1 ،2006 ،ص127.

[5] المرجع نفسه، ص129.

فاشتهر ابن حزم بالجدال الذي جر عليه الغيظ والحقد، ولقد تجلى الحجاج في موسوعته الموسومة ب"الفصل في الملل والأهواء" هذا من زاوية البلاغة القديمة.

✓ الحجاج عند الغرب:

كان للدراسات الحديثة أن صبت جل اهتمامها بهذا المجال،«الحجاج» خاصة الباحثين الناقدين "بيرلمان و مايير "، و ذلك من نافذة البلاغة الحديثة الجديدة.و مع ميلاد مصطلح البلاغة الجديدة عام (1958م)في عنوان أحد الكتب الشهيرة التي وضعها المفكر البولندي المولد البلجيكي المقام "بيرلمان" تحت اسم (البلاغة الجديدة). ويعتمد على إعادة تأسيس البرهان أو المحاجة الاستدلالية. وامتداده إلى بقية مجالات الخطاب المعاصر وقد عرفت هذه المدرسة بمدرسة "بروكسل" وتفرعت إلى تيارات عديدة [1].

فيرى "بيرلمان" بأن نظرية المحاجة أو نظرية البرهان هو دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم أو تعزيز هذا التأييد [2].

وتشير الدراسات إلى تعرض الحجاج في البلاغة الغربية في كتابات،(تولمين، وبلونتان، وريبيول، ومونشار...) ونجد أيضا كتاب: "تيتكاه" (tyteca) مع "بيرلمان" الموسوم ب "المصنف في الحجاج" trate de larguementation ، والذي شكل ظهوره فتحا جديدا وأساسيا في عالم الخطابة الجديدة [3].

نجد أيضا أعمال في أديم لساني تداولي بحت وهي للغوي الفرنسي "ديكرو" مع "اوستين سيرل" في كتاب "الحجاج في اللغة " وهو يختلف عن حجاج "بيرلمان" في اعتباره أن أساسه اللغة أو هو كامن في اللغة كما أشرنا سابقا.

---

[1] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ،عالم المعرفة، دط،1978م،ص65.

[2] المرجع نفسه،ص67.

[3] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص21.

ومن الدراسات المعقودة في العوامل الحجاجية نجد مقال:بعنوان "العوامل الحجاجية والخطط القولية

"لرودولف قيقلون" (R-Ghiglion) ضمن مصنف"الحجاج والبلاغة" والثانية في شكل فصل صغير "لجون كارون"(J-Caron) من كتابه: "اللسانيات النفسية وتداولية اللغة" والفصل بعنوان "العوامل المنطقية والعوامل الخطابية"[1].

نستنتج أن هذه الدراسات التي قام بها أصحابها كانت سطحية وغير متأنية، على أنها أيضا تختلف اختلافا من حيث الخصائص عن الحجاج العربي، ذلك أن حجاج هذا الأخير مرتبط أو مصبوغ بصبغة دينية إسلامية.ذلك أن العرب قديما أولو الحِجَاج عناية كبيرة وقد تبلور في علوم شتى كالعلوم الفلسفية واللغوية، كما كان يضرب في المسامرات والمناظرات والنقاشات التي كانت تعقد بين العلماء وغيرهم.

❖الحجاج في القرآن الكريم والحديث الشريف :

تجسد الحجاج في القرآن الكريم والسنة النبوية، وبرز ذلك في عدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية.

✓ الحجاج في القرآن الكريم:

وَرَدَ الحجاج في القرآن الكريم بمعانيه المختلفة، فقد جاء بلفظ حجاج وجدل وبرهان، ونلمسه في آيات كثيرة، ونأخذ قوله تعالى: ﴿ 📖❐☜♦✍ ♦❷♦ ☜◑ ❼■🖫☜ ✂✍🖋❽☜🔔 ■♦🔔🖋●○ ☜◑🖃⇗❷♦🕓⍾☜ ○☜■🖃◆❻ ❼☜× ⌘☠🕘☜⍾🕓♦❷⇗🖃☜◑ ▦🕘☜○☜■🖃◆❻ ﴾[2]. ولقد فسر هذه الآية "محمد الطاهر بن عاشور"* بقوله: « معنى حآج خاصم، وهو فعل جاء على زنة المفاعلة ولا يعرف لِحآجَ في الاستعمال فِعلٌ مجرد دَال على وُقوع الخِصام، ولا تعرف المادة التي اشتق منها، و من العجيب أن

[1] عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية،مكتبة علاء الدين، صفاقص تونس،ط1 ،2011 ص16.

[2] سورة البقرة الآية 257.

*محمد الطاهر بن عاشور،ولد سنة:188م بتونس اشتهر بكتاب تفسير القرآن الكريم،المعروف بالتحرير والتنوير توفي سنة،1973م، أليس الصبح بقريب،ص7.

الحُجّة في كلام العرب، البرهان المصدق للدعوى مع أن حَآجَ لا يستعمل غالباً إلا في معنى المخاصمة والأغلب أن يفيد الخصام بِبَاطل»[1].

وقال أيضاً "ابن عاشور" في شأن الجدل عند تفسير قوله تعالى﴿ وفسرها ابن عاشور بقوله: « والمجادلة مُفَاعلة من الجدل، وهو القدرة على الخِصام، والحُجة فيه وهي مُنازعةٌ بالقول لإقنَاعِ الغير برأيكَ»[2] .

وقال في موضع آخر: «المجادلَة: المخاصمة بالقول وإيراد الحجة عليه، فتكون في الخير كقوله تعالى: ﴿ 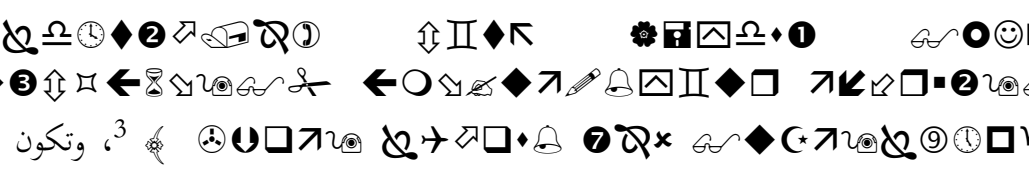 كقوله: ﴿و 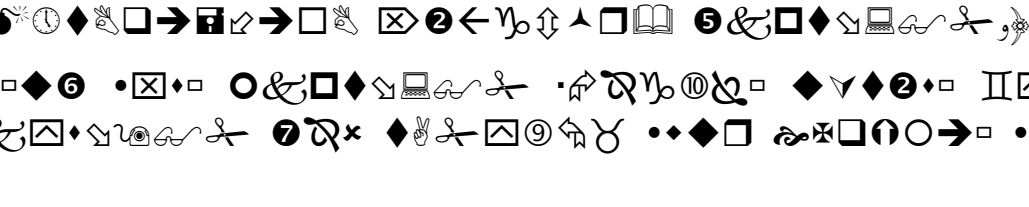 .[4]﴾

نستخلص من كلام ابن عاشور من خلال تفسيره لبعض الآيات ما يلي: أنه جعل الحجاج مرادف للجدل، والجدل هو «فعل الجدل المدافعة ليظهر الحق أي دفع السائل، وعلم الجدل هو العلم الذي يعرف فيه صحيح الدفع وفَاسده ، وبعبارة أخرى الجدل كفعل رد للخصم عن رأيه إلى غيره بالحجة، والجدل كعلم آلة يتوصل بها إلى لفْتِ الخصمِ عن رأيه إلى غيرهِ بالدَلِيل »[5].

---

[1] الشيخ الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير،دار سحنون للنشر و التوزيع،تونس، دط، 1948م، ج3 ،ص 32

[2] سورة النساء ،الآية107.

[3] سورة هود، الآية،73 .

[4]محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير، ج2 ،ص 92.

[5]حسين بوبلوطة، الحجاج في كتاب الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيدي،،تخصص لسانيات الخطاب، "مذكرة ماجستير"جامعة الحاج لخضر باتنة عام 2009_2010 ص 16.

كما أنه جعل معنى (حآج) في الآية الأولى بمعنى المخاصمة، وتكون هذه المخاصمة بباطل وليس بحق،كما بين أن الجدل هو القدرة على الخصام لتقنع به غيرك. وقد قسم الجدل إلى قسمين، الجدل الذي أريد به الخير، أو الحق أو ما يسمى كذلك بالجدل المحمود والجدل الذي أريد به الباطل، يسمى بالجدل المذموم. كما أننا نجد في مُحكم قوله تعالى، يحث على عدم الجدال فيما لا علم لك به، لأن هذا يؤدي إلى الوقوع في الزلل، و تشويه الحقائق و تضييع الدقائق، فيقول: جل في علاه: ﴿ ﴾ [1].

ونجد أن كلمة برهان وردت ثمان مرات في القرآن الكريم ومنه قوله تَعالى: ﴿ ﴾ [2].

وقد فسرها "الزمخشري" في (الكشاف)، بقوله: ﴿ ﴾ متصل بقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، فقل هاتوا برهانكم هلموا إلى حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم، وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين وأن كل قول لا دليل عليه فهو باطل »[3].

فالبرهان أن تأتي بدليل قاطع لتثبت صحة دعواك، أي لا يكون فيه أي شك أو احتمال.

✓ الحجاج في الحديث النبوي الشريف :

[1] سورة آل عمران، الآية65.

[2] سورة البقرة، الآية 110.

[3] أبو القاسم جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، تح: الشريف علي بن محمد بن علي السيد و أحمد بن محمد الاسكندري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 2006 م ج1، ص 305.

نجد أيضا أن الحجاج في الحديث النبوي الشريف قد تباين واختلف من حديث إلى آخر، ومن أشهر ما يستدل به في الموضوع حديث الرجل الذي جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ناكرا لون ولده قائلا: « **يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاماً أسود فقال: له الرسول–صلى الله عليه وسلم–: هل لَكَ مِنْ إبل قالَ نَعَمْ ، قالَ مَا ألوَانُهَا ؟ قالَ حُمْرٌ قَالَ : هل فِيهَا أَوْرَق ؟ قالَ نعَم ، قالَ : فَمِن أيْن ذلِكَ ؟ قالَ : لَعَّلَ عِرْقاً نَزَعَهُ فَقالَ الرسُول، وهذَا الغُلامُ لعَلَ عرْقاً نَزَعَهُ**» [1].

وهذا تبيين لاستدلال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الذي علينا إتباعه والامتثال لأوامره من غير أن نطالبه بدليل، فهو يبين لنا الأدلة ويرتبها حق ترتيبها.

وقد تميز الخطاب عند الرسول –صلى الله عليه وسلم– بقوة الإقناع والحجة وإفحام المخاصمين والمعارضين فكان يجادلهم بأسلوب محكم وقويم، ويُعَدُ هذا واحداً مِن أهَمِ الأساليب التي يستعملها العقل البشري في محاوراته ومخاطباته، والقصد منه «الإتيان بالدليل والحجة والبرهان في إثبات الحق وإلزام الخصم بها، في أسلوب حواري سلميٍّ بعيدٌ عن العنف باللجوء إلى لغةِ حِوار المخاطَب للعقول بوسَاطة الاسْتِدلال المنْطقي ».[2]

والمتتبع للسيرة النبوية والأحاديث الشريفة، يجد نفسه أمام مواقف عديدة انبرت فيها عبقرية النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، حيث تلاحظ حوارا ذكيا وجدالًا بعيداً عن الجاهلية الأولى، فتراه يؤثر في أهل الكتاب والمشركين فيخضع عقولهم ويستميل قلوبهم بأدلة دامغة لا مهرب منها إلا معانقة الإسلام عن رغبة وقناعة.

ومن بيْنِ مواقفه عليه الصلاة و السلام، ما رواه أنس رضي الله، قال: «**بلغَ عبدُ الله بن سلام مَقْدَم النبيّ صلَى اللهُ عَليهِ وَسلم إلى المدينةِ، فأتاَهُ، فقَال: إنِّي سَائَلُكَ عنْ ثلاَث لاَ يعْلمُهُّن إلاِ نبيٌّ، قالَ: مَا أَولُ أشْراطِ السَاعَةِ ؟ ومَا أولُ طعامٍ يأكُلُه أهْل الجنَّة؟ ومَا بالُ الولدِ ينْزِعُ إلى أبِيه أوْ أمِهِ؟ فقالَ: رسُول اللهِ صلَى الله عليه وسَلم (أخبرني آنفاً جِبريل...) ،– قالَ ابن سلَام: ذاكَ عدوُ اليَهُود منَ الملائِكَة– فقالَ: رسول الله**

[1] مسند الإمام أحمد بن حنبل، شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، ج2، الحديث رقم 6892.

[2] جلال محمد مهدي العقيدي، لغة الحكمة واقناع المخاطَب في أسلوب الخِطاب النبوي،مجلة العميد،بغداد، العدد2، 2013م، ص248.

صلى الله عليه وَسلَم:((أمَا أوَّل أشرَاط السَاعةِ فنارٌ تحْشُرُ النَاسَ مِن المشرِقِ إلى المغرِبِ، وأمَا أولُ طعَامٍ يأكله أهلُ الجنَةِ فزيادة كبِدِ الحوتِ، وأمَا الشَبهُ في الوَلَدِ فإن الرَجُلَ، إذَا غَشِيَ المرْأَة فَسَبقَها ماؤُه كانَ الشَبهُ لَهُ، وإذاَ سَبَقَ مَاؤُهَا كانَ الشَبهُ لهَا)) قال« أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهَدُ أنَّكَ رَسُولُ الله »[1].

فالنبي صلى الله عليه و سلم ،جادل اليهودي الذي سأله عن أمور لا يعلمها إلا نبي على سبيل الظن منه طلبا للتيقن الذي ما إن اقتنع به أعلن إسلامه على الفور، إذ أمده بالحجة والدليل ما جعله يخضع لجانب الإقناع ومن ثم التأثر بتغيير القناعات السابقة.

تبين لنا من خلال ما سبق أن لفظ الحجاج أو المحاجة متضمنا لدلالة ومعنى مستمدين من طبيعة سياقه أو شرطه التخاطبي المتمثل في "التخاصم، التنازع، الجدل، البرهان" مما يحيل ويستدعي التأثير والإقناع في التخاطب الإنساني. كما أن مفهوم الحجاج يتداخل مع الجدل ويتفق معه وهذا للإستعمال الواحد الذي يلجأ إليه الكثير.

كما أن الحجاج له علاقة بالخطاب سواء كان شفهيا أو كتابا كما تتعدد ضروبه بحسب مقام الحجاج ومقاله، أيضا له جذور مديدة في بلاغتنا العربية في القرآن الكريم والحديث الشريف وحتى في كتب الأدباء الأوائل، كما نجده عند الغرب في البلاغة الجديدة عند "بيرلمان وتتيكاه"، وكلاهما يعمل المخاطب فيه بفرض فكرة والدفاع عنها، لإقناع المتلقي وإذعانه.

[1] الإمام البخاري، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، (كتاب الزكاة)، باب وجوب الزكاة، دار طوق النجاة، ط1، 2001م، /1395.

الفصل الثاني

- خطب الإبراهيمي و موضوعاتها .

- تجليات الحجاج في خطبة مسجد"كتشاوة". للبشير الإبراهيمي.

أ- الآليات البلاغية.

ب-الحجج المنطقية وشبه المنطقية.

ج- الراوبط الحجاجيـــة.

لا شك في أن للإبراهيمي عدة أعمال أدبية، فجزء منها بقي مخطوطا لم يعرف تحقيقا، والبعض الآخر ضاع. وأن ما وصل إلينا من خطب قليلة جدا بما لم يدون، لأن أغلبها كان إرتجالا كما ذكرنا سابقا.فكان أغلبها عبارة عن خطب منبرية، تلقى في المواسم الكبار والمحافل العظام، وفي مجالس الخطباء، والأندية العامة والخاصة، لغرض من الأغراض التي تتعلق بالحياة ومظاهرها الاجتماعية.

- **خطب الإبراهيمي و موضوعاتها:**

إن الدارس و المتفحص لخطب الإبراهيمي يتبين له بوضوح تام أن أغلبها يتعلق بالمناسبات الدينية كالأعياد، وشهر الصيام، و المولد النبوي الشريف، و غيرها، وأن هذا لا يمنع من وجود خطب ذات موضوعات سياسية واجتماعية و أدبية، وسنحاول إستظهار أهمها في هذا البحث.

- ✓ **موضوعات خطبه:**

لا شك أن الإبراهيمي كان شغوفا بالخطابة و مهتما بها و قد تبين لنا ذلك من خلال قولـــــــــه:

((التمثيل و الخطابة عند الأمم الحية توأمان و أخوان شقيقان، و أن منزلتهما من دواعي التهذيب و التربية الفاضلة لأرفع منزلة، و أن مكانتهما من بين مقومات الأخلاق و بمنزلة الطعام و الشراب ، و من بين المقومات الجسدية. و ما بُنيت نهضة من النهضات الأخلاقية في الأمم الجديدة إلا و لتمثيل و الخطابة في بنائها القسط الأوفر و الحظ الأولى.))[1] والارتجال كان هو الصفة الطاغية في خطاب الإبراهيمي، و هذا يعود إلى موسوعيته، و ذاكرته، و ذكائه. و يذكر الإبراهيمي عن نفسه فيقول :((فإنني أنا أجد من السهولة و مواتاة الكلام في مواقف الخطابة، ما لا أجده في مواضع الكتابة، ثم جاءت العادة و المران فأحكم ذلك في طبعي .))[2] فمن خلال خطبه التي اطلعنا عليها، فإننا وجدنا غالبها تندرج تحت موضوعات ثلاث، فخطب ذات موضوعات سياسية، و أخرى أدبية، و تارة أخرى دينية و اجتماعية، و سنحاول إبراز أهم نماذجها مشيرين إلى أهم موضوع فيها من كل مجال.

[1] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار المغرب الإسلامي، بيروت،1997م، ج1،ص 67 .

[2] محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا-مرجع سابق- ص188.

✓ خطب ذات موضوعات سياسية:

تعددت هذه الخطب تماشيا مع الظروف و العوامل السياسية السائدة في تلك الحقبة، حيث كانت جل الدول العربية تتخبط في أزمات سياسية من حروب و استعمار و صراع دبلماسي و انحطاط و تخلف و تشرذم، و نذكر من أهمها: خطبة ألقاها أمام الوفود العربية وخطبة الجزائر الثائرة و خطبة في مؤتمر العالم الإسلامي ، و لعل أبرزها خطبة الأمم المتحدة.

أمّا بالنسبة لخطبة المؤتمر العالم الإسلامي فهي عبارة عن خطبة ألقاها "ببكستان" في ماي 1952م، و قد وجدت مسودة في أوراق الإمام الإبراهيمي[1].كان الإبراهيمي ممثلا عن الشمال الإفريقي و الجزائر عامة و ممثلا عن جمعية العلماء المسلمين بصفة خاصة، مطلعها ((**أيها المؤتمرون على خير الإسلام، المجتمعون على عهده و ميثاقه، الجامعون لأجزائه ... المؤتمنون على تراثهم من العلم و الحكمة المستجيبون لحضور هذا المؤتمر الذي ثُوِّب داعيه فأسمع، و سمع واعيه فأهطع***...))[2] .

تضمن موضوع الخطبة استنجادا و شكوى ضد المستعمر المستبد، إذ كان الخطيب يرنوا إلى حال الجزائر ويتألم بآلامها ويحزن لما أصابها، ثم يلجأ إلى ذكر الإسلام و مدى عالميته و عظمته، وكأنه أراد إيصال فكرة مفادها أنه باق رغم ما يصنعه الاستعمار الصليبي من طمس لهويته وعقيدته.

أما الجزء الثاني فقد كان جوابا لرئيس المؤتمر في حفلة أقامها تكريما لوفود العالم الإسلامي المشاركة فيه، فيتحدث عن الوحدة الإسلامية مشيدا بدور منظميها و الدولة المحتضنة لهذا المحفل العلمي.

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، (1952-1954) ج4،ص 76 .

* فأهطع: نظر في ذل وخشوع.

[2] المرجع السابق، ص 76 .

✓ خطب ذات موضوعات أدبية:

يمتلك الإبراهيمي قدرة بلاغية محكمة الصنع مما جعلته يتصدر الخطباء في البلاغة و البيان، و هذا النوع من الخطب يهتم بالجانب الأدبي و يعالج قضايا الأدب المحض، كما يتميز هذا النوع من الخطب عند الإبراهيمي بالصنعة اللفظية، و تنميق الكلام و هذا عائد إلى مخزونه اللغوي الوافر التَّرِي، و نذكر منها: خطبة ألقيت بالقاهرة و أخرى بمجمع اللغة العربية بدمشق، و لعل أشهرها في هذا الميدان خطبة ألقاها في مهرجان أمير الشعراء أحمد شوقي بالقاهرة في أكتوبر.1959م، يذكر الإبراهيمي عن نفسه أنه أثناء سفره التقى "بأحمد شوقي" شاعر العربية الأكبر كما لقبه ، فأسمعه عدة قصائد من شعره و من حفظه فتهلل و اهتز .

مطلع الخطبة: ((...**أيها الإخوان الأصفياء حياكم الله و أحياكم، و أبقاكم للعروبة تُحيون مآثرها و تجددون مفاخرها، و للعربية توفون بعهودها، و تقومون بحقوقها و تعمرون نواتها، و تنشرون أمواتها، و تخطون للباقين طريق الأسوة الحسنة من سيِّر الماضين، و تدلونهم على أقدار الرجال، و مواقف الأبطال.**

أيها الإخوان إني مغتبط لإحيائكم ذكرى شوقي شاعر العرب في وقت هم فيه أحوج ما يكونون إلى صيحاته التي تحرك الخامل و تهز الجامد، و إلى نغماته التي تنعش العاملين و تنبه الخاملين))[1].

و بعدها يشرع الخطيب في هذا الخطبة للحديث عن العروبة و القومية، فيدعو إلى شحذ الهمة والنهوض بالأمة، وعلاجها بما وصفه بالكسل العقلي، ثم يمدح شوقي و يبرز مكانته بين الشعراء و تفوقه الباهر عليهم، كما يبرر شغفه به و حبه له و تحبيبه للناشئة ، فيقول:((... **فأول ما حَبَّب شوقي إلى نفوس ناشأتنا ما يفيض به شعرا من تمجيد للإسلام.))**[2]. كما يذكر أن موته كان صدمة للأندية الأدبية و في ختام خطبته يترحم على روح هذا الشاعر الذي قدم للأدب عربي زاد وافرا من الشعر و الحكمة ، وكان بحق أمير للشعر و الشعراء.

✓ خطب ذات موضوعات دينية واجتماعية :

[1] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج5، (1962-1954)ص275.
[2] المرجع نفسه،ص228 .

الخطبة الدينية أثر كبير في حياة المسلمين فمن خلالها يستطيع الخطباء أن يوجهوا الناس إلى تقوى الله وإلى حبه وطاعته وخشيته، فيجد الخطيب متنفسا في إثارة عواطف السامعين وتذكيرهم الخير، وتنفيرهم من الشر.

والغالب أن الخطب الدينية تعالج قضية اجتماعية كما تسلط الضوء على قضايا العقيدة والوعظ والإرشاد والنصح، ((و ليس القصد بالخطب الدينية ما يشمل بالضرورة الخطب المسجدية أو الجُمعية فحسب، و إنما القصد منها الخطبة التي تستقل بنوع ديني يعالج شؤونا اجتماعية أو فكرة إسلامية أو علمية، و يكون الطابع العام فيها قد أخذا وازعا و منهجا دينيين و ذلك من خلال أسلوب المعالجة و التعليل و الأداء))[1].

وجاءت بعناوين عدة منها : ذكرى غزوة بدر، وألقيت بمركز جمعية العلماء المسلمين، و نجد أيضا خطبة جامع "الحنايا" ومدرسته،كذا خطبة اختتام السنة الدراسية بمعهد ابن باديس، ونجد كذلك خطبا ألقيت بمناسبة المولد النبوي الشريف ينوه فيها عن البدع والخزعبلات التي تصاحب إحياء هذه الذكرى الجليلة، وخطبة جمعية ألقيت بجامع قرية "راس الوادي" في أول جمعة صليت به.[2]

وأشهرها خطبة جامع "كتشاوة" والتي هي موضوع بحثنا هذا .

ونذكر خطبة ذكرى بدر بمركز جمعية العلماء المسلمين، قدمها محمد الغسيري، و قد نقلها عن بعض ما اقتبسه أبو بكر الأغواطي، فيذكر بأنه ألقاها الإبرهيمي بالأغواط يوم 17 رمضان بمناسبة غزة بدر 1368هـ [3]. يتحدث فيها الإبراهيمي عن فضل الصحابة في هذه الغزوة، و عن مجرياتها و محطاتها و نصر الله المؤزر الذي أيّد به نبيه و جنده، و يشير من إلى أخذ العبرة والدروس منها في طاعة الله و رسوله مقارنة بغزوة أُحُد.

ثم يذكِّر بباقي انتصارات المسلمين كاليرموك و حطين و غيرها و عظماء الأمة الذين أحتفل بهم التاريخ و افتخـــر .

تميز أسلوب الإبراهيمي ((بالأناقة والقوة و الرصانة و الجزالة الألفاظ تناسقها، و تجانس العبارات و تآلفها، و كرم المعاني و علوها و تألّقها، وأصالة اللغة و فصاحتها و فخامتها. كما بيدو على دقة اختيار الألفاظ، و الاهتمام بحلاوة الإيقاع، و الاعتماد على الجمل القصيرة، و العبارات الأصيلة التي تذكّرنا بأرباب البلاغة العربية.

[1] ينظر،محمد عباس،البشير الإبراهيمي أديبا، ص203.

[2] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي ج1،ص64.

[3] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،(1940-1952)،جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي،ج2، ص296.

و هذا أمر طبيعي بالنسبة لأديب مثله، عمق تأثره بأسلوب القرآن الكريم و الحديث الشريف، و كثرت معانقته لنفائس التراث الإسلامي فملك ناصية اللغة، و لانت له ألفاظها و تراكيبها)).[1]

و ينبه الكاتب من خلال هذا القول، أن أسلوب الإبراهيمي متفرد متميز عمن سواه، ينتقي العبارات و الألفاظ بمهارة و بداهة، متجنبا الإطناب الممل و الإيجاز المخل.

أسهم الإبراهيمي في موضوعات عديدة أدبية، وسياسية، وإسلامية ونشير في هذا السياق أن الذي يقرأ للإبراهيمي يجد نفسه أما أديب لغوي نال حظا غزيرا من لغة الضاد، فتراه يجول و يصول قابسا من قاموسها القديم و قاموسها المعاصر، مضفيا أسلوبا قرآنيا بديعا يزيد المعنى عذوبة، فهو يخرج العربية من مخارجها الخالصة ومنابعها الصافية، و هذه الأوصاف لا تجتمع إلا عند فطاحل الأدب الذين امتلكوا ناصية اللغة والبيان.

❖ تجليات الحجاج في خطبة مسجد "كتشاوة" للبشير الإبراهيمي:

خطبة الأستاذ الإمام محمد البشير الإبراهيمي، هي خطبة ألقيت في الجمعة الأولى بمسجد "كتشاوة"-باب الواد- بالجزائر العاصمة و ذلك بتاريخ 5جمادى الثانية 1382 هـ الموافق للثاني من نوفمبر 1962 ميلادية بحضور أركان الدولة و وفود غفيرة من مختلف الدول الاسلامية [2].

جاء موضوع الخطبة على خلفية استرجاع و إعادة مسجد "كتشاوة" و الصلاة فيه، بعدما حول إلى كنيسة ومعبد للنصارى في عهد الاستعمار الغاشم، يبدأ الخطيب في مستهل خطبته بالحمدلة، و الثناء عليه كعادة الخطباء في البدء، ثم يشرع مذكرا بآلاء الله و نعمه على عباده، و يذكر بالتضحيات التي بذلها شهدائنا الأبرار، مخاطبا جمهور المصلين وساستهم و من خلالهم إلى عامة الشعب الجزائري، إذ نجده يدعوهم مرة ب: (يا أتباع محمد) ، و تـــــارة (يا أيها المؤمنون) و تارة أخرى (يا معشر المؤمنين).

و قد تندرج هذه الخطبة تحت مجال موضوعات الخطب الدينية، نظرا للبعد الزماني و المكاني الذي جاءت فيه الخطبة.

[1] ينظر، عبد المالك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة , ط1، ص 21 ،ص 100.
[2] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج5،ص305 .

نحاول في هذه الصفحات أن ندرس بنيتها من زاوية حجاجية خالصة و نرصد الحجج معتمدين على الآليات البلاغية، والحجج الشبه المنطقية،كما نقف على الروابط الحجاجية التي تضمنتها الخطبة .

و مما تجدر الاشارة إليه في هذه الخطبة أنها تندرج تحت ما يسمى بالحجاج الشفوي، و هو حجاج خاص مميز، لأنه يقاوم عدوين قاتلين هما عدم الانتباه و النسيان [1]. وعادة ما تندرج الخطب تحت نوع الحجاج التوجيهي، الذي قوامه إيصال المعنى إلى المخاَطَب دون الاهتمام بردة الفعل كما ذكرنا آنفا في أنواع الحجاج.كما نجدها تتضمن الحجاج البلاغي لاعتمادها الآليات البلاغية كالصور البيانية والمحسنات البديعية،لاستمالة المتلقي.

❖ الآليات البلاغية:

تحتل البلاغة مكانة مهمة في الحجاج و تعتبر آلياتها من الآليات الحجاجية التي استعملتها العرب قديما، لضرورتها الحتمية في إقناع المتلقي و جلب انتباهه. و تتمثل هذه الآليات في الصور البيانية و المحسنات البديعية و غيرها.

و نظرا لأن الإبراهيمي وظفها فإننا نحاول إبراز بعضها من باب التمثيل .

- **الصور البيانية** : لها دور كبير في التأثير على المتلقي و توجيهه و هي أنواع ثلاث:

✓ **الاستعارة** : تعرف الاستعارة الحجاجية بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي [2]. فهي تعد مركز الحجاج و أهم آلياته البلاغية نظرا لما تحققه من نتائج إيجابية و من تقريب المعنى إلى ذهن القارئ، و هو ما عبر عنه "طه عبد الرحمن" بقوله: ((العلاقة الاستعارية هي أدلّ ضروب المجاز على ماهية الحجاج)).[3]

أمثلة الاستعارة:

[1] سامية الدريدي، دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي،ط1، 2009م، ص 117.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري،استراتيجيات الخطاب ،مقاربة لغوية تداولية،-مرجع سابق- ص 495.

[3] طه عبد الرحمان،اللسان والميزان و التكوثر العقلي، -مرجع سابق-ص: 233.

- **المثال الأول**. يقول: ((جعل النصر يتنزل من عنده على من يشاء من عباده)) ،شبه الإبراهيمي هنا النصر بالشيء الذي يتنزل الذي هو الغيث فحذف المشبه به و صرح بالمشبه و جعل قرينة أو رابطا من روابطه و هو النزول للإشارة إليه على سبيل الاستعارة المكنية .

- **المثال الثاني:**

((الدفاع على شرف الحياة)) شبه الخطيب هنا الحياة كالفتاة العذراء التي يدافع عن شرفها وعرضها فاستعار قرينة تدل عليها وهي الشرف الذي هو مرهون بالكرامة و العزة و غيرها من صفات المروءة ، فحذف المشبه به و صرح بالمشبه و هو الحياة على سبيل الاستعارة مكنية.

غلبت الاستعارة المكنية على الخطبة فجاءت أغلبها مكنية أفادت تقوية المعنى و إثباته كما جاءت لتجسيم شيء معنوي، و قد اكتفينا ببعضها من باب التوضيح، فالخطبة تزخر بالعديد منها.

- **الكناية** : نجد الكناية التي لها دور في الحجاج في خطبة الابراهيمي، فهي بمثابة الدليل الذي يلجأ إليه المتكلم لإثبات معانيه و إقناع السامع، قال الزركشي: ((و هي عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه و رديفه في الوجود فيومئ به إليه و يجعله دليلا عليه فيدل على المراد من طريق أولى))[1].

و ردت الكناية في مواطن منها:

المثال الأول:

((**جعل السيف فرقانا بين الحق و الباطل**)) و هي كناية عن عدل الله تعالى و عظيم إنصافة، فكُني عن العدل بالسيف، فكما أن العدل فارق بين الحق و الباطل ، فالسيف كذلك يفرق و يقسم بين شيئين.

المثال الثاني:

[1] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن،(ت ح) محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت،(دط)،(دس)ج 2، ص 301.

يقول: ((**بيت التوحيد عاد إلى التوحيد**))، كنى الإبراهيمي مسجد "كتشاوة"، ببيت التوحيد، بأنه قد عاد إلى التوحيد بعدما كان معبدا لأهل الكتاب(التثليث) فبداية بناءه كان لعبادة الله لكن أيادي الباطل حولته إلى كنيسة، ثم شاء الله أن يعيد هذا السرح لوحدانيته وحده لا شريك له.وتمثلت الكناية هنا في إيراد المعنى مصحوبا بالدليل في إيجاز.

المثال الثالث:

يذكر الخطيب: ((**إنكم خارجون من ثورة التهمت الأخضر و اليابس**))، كنى الإبراهيمي الاستعمار و حرب الثورة المباركة، بالنار الملتهبة التي لا تبقي و لا تذر والتي تأتي على كل شيء .و هي كناية عن الدمار و القتل والذبح والتشريد، وكل أشكال الهمجية التي مارسها الاستدمار الفرنسي في حق أبناء و نساء و الشيوخ الشعب الجزائري الأبِيّ.

التشبيه:

و اصطلح عليه بالتمثيل، نجد التشبيه يُسهم في الإقناع و في ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني (تـ471هـ): ((واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي بالاختصار في معرضه ونقلت من صورها الأصلية إلى صورته (...) فإن كان مدحا كان أبهى و أفخم(...) و إن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر و بيانه أبهر))[1].

و يعتبر أيضا عقد الصلة بين صورتين ليتمكن المرسل من الاحتجاج و بيان حججه[2].،و نجد التشبيه في خطبة الإبراهيمي فيما يلـي:

و يقول أيضا :((**إن الاستعمار كالشيطان**)) فهو هنا يشبه الاستعمار بالشيطان في الإفساد وبث الفتن بين أبناء الوطن الواحد و يأمرهم بالسوء و الفحشاء و المنكر وغيرها، فيأتي محذرا من طاعته، و يستدل بحديثه

[1] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، شرح و تعليق محمد عبد المنعم الخفاجي، عزيز شرف دار الجيل ،بيروت ط1، 1991،ص 119،118.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب،مقاربة لغوية تداولية،-مرجع سابق-،ص497.

عليه الصلاة و السلام «**إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه، و لكن رضي أي يطاع فيما دون ذلك**". ويسمى هذا النوع من التشبيه بالتشبيه المجمل وذلك لحذف وجه الشبه فيه.

يقول أيضا في موضع آخر ((**هذا اليوم الأزهر الأنور و هذا هو اليوم الأغر المحجل**))، يشبه الخطيب هذا اليوم أي يوم الجمعة بتشبيهات عديدة فيعدد محاسنه و فضائله و سماته لحضور المصلين وساستهم، ويمكن تصنيف هذا النوع من التشابيه بالتشبيه البليغ، وذلك لحذف الأداة ووجه الشبه، ويعتبر هذا النوع من أقوى التشابيه.

المحسنات البديعية:

إن البديع له دور حجاجي لا على زخرفة الخطاب، وأن هذه الآلية الحجاجية هدفها الإفهام أن أساليب البيان مثل المقابلة، و الجناس، و الطباق و غيرها ليست اصطناعا للتحسين و البديع و إنما هي أصلا أساليب للإبلاغ و التبليغ [1]. و تعتبر خاصية و صفة طاغية ملازمة له، إذ أنها من ثوابت أسلوبه المتأنق و عوامل الإبداع و الإجادة في فنه، إذ أن الدارس لنثر الإبراهيمي لا يرى في محسناته أي تكلف أو سذاجة، و إنما يرى الجمال والإبداع، يرى السجع الفني و الجناس المحلي و الطباق الذي يخدم المعنى[2].

البديع: يمكن له أن يؤدي و ظيفة حجاجية و في هذا يقول: صابر الحباشة ((إن محسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله و هو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر...))[3].

و لعل الإبراهيمي أورد محسنات بديعية أهمها الطباق، و يعرفه الدارسون على أنه الكلمة و ضدها، و هو نوعان: طابق السلب، و طباق الإيجاب .ويعرف أيضا بالتضاد و الغالب في الخطبة هو طباق الايجاب و من أمثلة ذلك:

المصلح ≠ المفسد ، الموت ≠ الحياة ، القليلة ≠ الكثيرة ، الحق≠ الباطل ، رجال ≠ نساء ، القوة ≠ الضعف .

فالطباق له أهمية في معادلة الإقناع لتوضيح المعنى و إجلائه من حيث جلب الكلمات و أضدادها، و كما يقال تعرف الأشياء بأضدادها.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري،استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية، ص 498.

[2] عبد المالك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، ص 106_108.

[3] صابر الحباشة، الحجاج و التداولية، ص 51.

الحجاج من المنظور التداولي:

ليس التكرار من باب الترف الكلامي و لكن أثره التداولي يقوي الحجة و يساهم في إقناع المخاطب بوصفه طاقة مضافة تحدث أثرا جليلا في المتلقي، و تساعده على نحو فعل في إقناعه و حمله على الإذعان [1].

و قد تجلى تداول التكرار في خطب البشير الابراهيمي في مطلع خطبته حيث قال : ((**الحمد لله ثم الحمد لله**))هذا الحمد و الثناء يشير إلى تنبيه السامع و الإشارة إلى أن الخطيب قد انطلق في خطبته.

و نجد أن كلمة التوحيد لا إله إلا الله قد تكررت في قوله: ((**وأن كلمة لا إله إلا الله عادت إلى مستقرها منه كأن معناها دام مستقرا في نفوس المؤمنين. فالإيمان الذي نترجم عنه كلمة لا إله إلا الله ،هو الذي أعاد المسجد إلى أهله.**)).أضفت كلمة التوحيد هذه هالة من الخشوع والخضوع، وربما أراد الخطيب من تكرارها إلى ترسيخ كلمة التوحيد و الإشارة لها بمثابة نفي الشرك و الإلحاد عنه وعن الشعب الجزائري، بعدما كانت أيادي الشرك و التنصير تبسط سلطتها على الجزائر. ونجده في موضع آخر يقول:((**بل هو بيت التوحيد عاد إلى التوحيد**))، هنا تكرار لفظة التوحيد إذ أفادت في المعنى الأول المسجد، وفي المعنى الثاني الإسلام والذي نقيضه الشرك مع الله.

الإستشهاد: لقد عد البلاغيون العرب الخطاب القرآني خطابا حجاجيا بالدرجة الأولى كما أشار إلى ذلك "عبد الله صوله"، في مقدمة كتابه الشهير (الحجاج في القرآن الكريم) و ذلك لتوظيفه _ القرآن_ الكثير من الأساليب الحجاجية لإستمالة عقل المتلقي و من ثم التأثير فيه بتقويم سلوكه و تغييره، استعمل البشير الإبراهيمي آيات قرآنيه في خطبته و عادة ما تستعمل في الخطب الدينية و الدعوية، التي يهدف الخطيب من خلالها إلى خلق جو من الإيمان و الروحانيات. فنجده يورد الآية الكريمة مؤكدا على الصفقة الرابحة في مطلع خطبته، و الإشادة بالتضحيات التي بذلها الشهداء في سبيل الله ثم الوطن، قال الله تعالى: ﴿

[1] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، -مرجع سابق-ص 168.

[1]. و

هذا شحذا للهم و تذكريهم بجود خالقهم جل في علاه، و ثواب الله للمؤمنين .

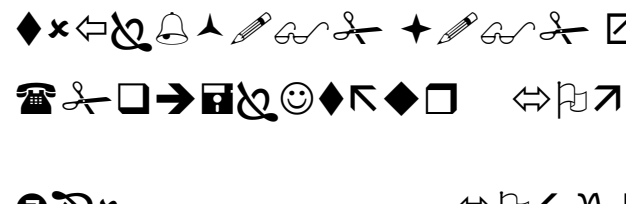

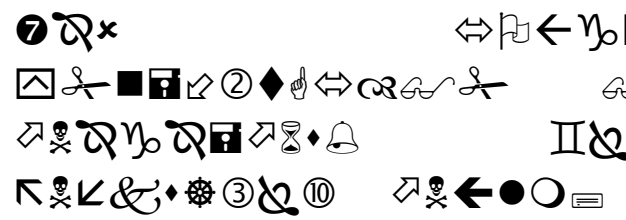

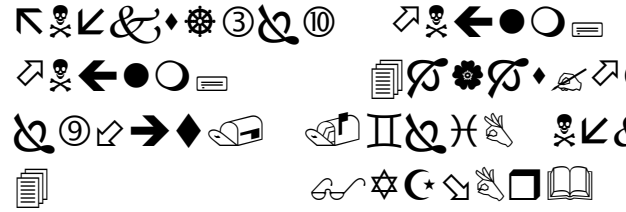

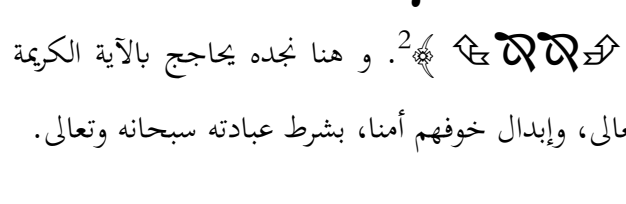

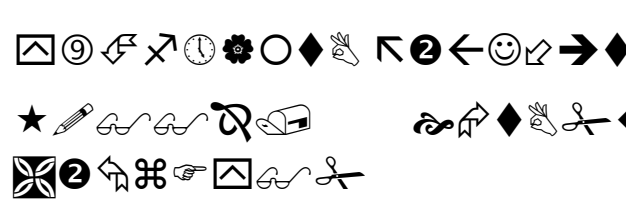

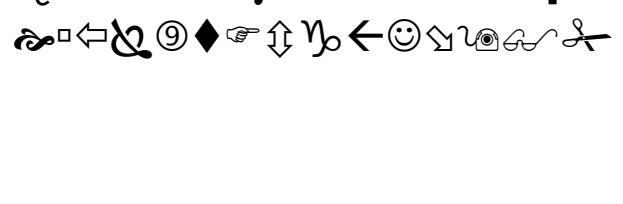

[2]. و هنا نجده يحاجج بالآية الكريمة

تذكيرا لهم بوعد الله لاستخلافهم الأرض من طرف الله تعالى، وإبدال خوفهم أمنا، بشرط عبادته سبحانه وتعالى.

[3].

[1] سورة التوبة، الآية 111.

[2] سورة النور، الآية 55.

[3] سورة البقرة، الآية114.

جاءت هذه الآية على إثر استدلاله بقوله تعالى: ﴿و من اظلم من منع مساجد الله أن يذكر في اسمه﴾. و من خلال هذه الآيتين الكريمتين أراد الشيخ أن يشير في الآية الأولى إلى جموع المصلين من الشعب الجزائري المسلم الذي ملأ مساجد الله بعدما كان الاستعمار الغاشم يمنع الصلاة فيها، ويمنع فيها ذكر الله فخصه بالآية السابقة ((فمن أظلم)) .

أما التضمين الشعري فقد لا تخلو خطبة من الخطب إلا و كان للشعر نصيب منها عند العرب، إلا أن الإبراهيمي، نجده يستشهد ببيت واحد لشاعر الثورة و الجزائر الشيخ محمد العيد آل خليفة:

أُحَيِّيكَ يَا مَغْنَى الكَمَالِ بِوَاجِبٍ """" وَ أُنْفِقُ فِي أَوْصَافِكَ الغُرِّ أَوْقَاتِي[1]

و قد أورده الإبراهيمي في خطبته لما فيه عمق و دلالة و معاني حب الوطن و خدمته و التعلق به، و هذا جاء في مطلع البيت بالتحية "أحييك يا مغنى الكمال بواجب"، فعنده أن حب الأوطان من الأمور الواجبة عليه، لأن حبه من الإيمان، "وأنفق في أوصافك الغر أوقاتي"وهنا إشارة على أن أغلى شيء عند الإبراهيمي وقته، فأنفقه من أجل الوطن.

الحجج شبه المنطقية: وهي حجج (تستخدم للربط بين أحكام مسلم بها وأحكام يسعى الخطباء إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة ومسلما بها، وذلك يجعل الأحكام المسلمة بها والأحكام غير المسلم بها، عناصر تنتمي إلى كل واحد يجمع بينها، بحيث لا يمكن التسليم بإحداها دون أن يسلم بالآخر، ومن جاء في وصفها بكونها حججا اتصالية أو قائمة على الاتصال)[2].

نحاول أن نبين أنواع الحجج التي استعملها الإبراهيمي في خطبته وهي عبارة عن تركيبة حجاجية تؤدي إلى إقناع كل سامع أو متلق.

[1] ديوان محمد العيد آل الخليفة، ص 363.

[2] محمد القاضي،الحجاج أطره و منطلقاته، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية،كلية الآداب تونس ،جامعة منوبة (دت)،(دس)، ص331.

الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

1_حجة واقع الحال:

إن الحجج المبينة للواقع من أهم الحجج التي ذكرها "برلمان" وأكثرها قوة في تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي، وذلك نظرا لكونها ناتجة من وقائع متتابعة ومتعايشة مع العلم أن هذه الوقائع هي عبارة عن حقيقة لا تحمل معها أي شك[1].

ومثال ذلك نجد الإبراهيمي يعرض وقائع يسردها في وصف المسجد وحاضريه ((**هذا هو اليوم الأزهر الأنور ، وهذا هو اليوم الأغر المحجل ،وهذا هو اليوم المشهود من تاريخكم الإسلامي ، وهذا هو يوم الغرة اللائحة في وجه ثورتكم ، هذا المسجد الإسلام من مغانم جهادكم**)).

((**إن هذه المواكب الحاشدة بكم من رجال ونساء يغمرها الفرح ويطفح على وجهها البشر**)) .يصف الإبراهيمي في معرض خطبته حال الجزائريين وصفا صريحا بعد خروج الاستعمار، مشيدا بالأفراح التي غمرت نساء وشيوخ وأطفال الجزائر باسترجاعهم الوطن والمسجد الذي سيذكر فيه اسم الله .مما أفاد تقريب المعنى إلى السامع

2_حجة المقارنة :

وضيفة هذا النوع من الحجاج هو أن: (تقوم على الاحتجاج لشيء أو لقيمة أو لرأي (...) باعتماد أفضلية على طرف ثان من جنسه أو قبيله[2].

[1] نعيمة يعمرانن، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير،" مذكرة الماجستير "جامعة مولود معمري ،كية الآداب واللغات السنة الجامعية، 2012/ 04 /03 ص83.

[2] سامية الدريدي، دراسات في الحجاج،-مرجع سابق- ص123.

يقول الإبراهيمي: ((**قد يبغي الوحش على الوحش فلا يكون ذلك غريبا، لأن البغي مما ركب في غرائزه وقد يبغي الإنسان على الإنسان فلا يكون ذلك عجيبا لأن في الإنسان عرقا نزاعا إلى الحيوانية وشيطانا نزاغا بالظلم، وطبعا من الحيلة الأولى ميالا إلى الشر، ولكن العجيب الغريب معا، والمؤلم المحزن معا، أن يبغي دين عيسى روح الله وكلمته على دين محمد الذي بشر به عيسى روح الله وكلمته.**))

يعدد الإبراهيمي مقارنات وينتهي في آخر كلامه إلى مقارنة حتمية على مبدأ المفاضلة هو أنه كيف يبغي دين المسيح على دين محمد –صلى الله عليه وسلم– وهو الذي بشر به، وهنا لا يتعجب من بغيان الوحش على الوحش وظلمه له، لأن له تبريرا على ذلك فيقول لأن ذلك من غرائزه، ولكنه يتعجب من طغيان النصارى على المسلمين فلا يجد لذلك تبريرا كل هذا كان باللهجة العنيفة كعادة الابراهيمي في كلامه وكتابته.

الحجج المنطقية:

3_الحجة الاستنتاجية أو علاقة الاستنتاج:

هذه العلاقة منطقية، وهي الإنتقال من فكرة إلى فكرة أخرى بشكل ميسر [1].يورد الإبراهيمي استنتاجات عدة تداولها في مقدمة خطبته، و هي خاصة بالله تعالى فنجده يقول: ((**جعل السيف فرقانا**))، ((**وولد الحرية من العبودية**))،((**جعل الموت طريقا إلى الحياة**)).فالحجة (أ)، تقود إلى النتيجة (ب) كل هذه الأمثلة عبارة عن مسلمات واستنتاجات قطعية في حقه سبحانه تعالى، وبيان تام لقدرته سبحانه،وعلمه، وحكمته،في أن جعل الحق فرقانا، بين الحق والباطل،وأن ما من ليل إلا بعده نهار مشرق، وهنا إضفاء لجو القناعة النفسية في جمهور المخاطبين.

❖ الروابط الحجاجية :

تشتمل اللغة العربية على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية نذكر من هذه الأدوات : لكن،بل، إذن، حتى، لاسيما، إذ، لأن إما أن ، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، ما، إلا، ..إلخ .

[1] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص339.

وتجدر الإشارة هنا إلى التفريق في الروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية (Les operaturs) فالروابط تربط بين قولين أو بين حجتين ، الأصح أو الأكثر و يمكن التمثيل لها بالأدوات التالية : بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأ، بما أن، إذ، ...إلخ .[1]

أما العوامل الحجاجية ، ((فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج) ولكنها تقوم بحصر وتقيد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما ،وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما تقريبا،كاد، قليلا، كثيرا ما، ...إلا وجل أدوات القصر، وتكمن قيمة الروابط الحجاجية في أنها تربط بين قضيتين، و دورها الربط الحجاجي وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب)) .[2]

- ✓ **حروف العطف:**

استعمل الإبراهيمي حروف العطف للربط بين الحجج وأكثر من استعمال حرف"الواو"وهو أهمها."تعمل على الربط النسقي أفقيا على عكس السلم الحجاجي "[3].

((وأشهد أن لا إله إلا الله ،صدق وعده ،ونصر عبده ،وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده.وأشهد أن محمدا عبده ورسوله)).

تعد (هزم الأحزاب وحد) من الحجج الأقوى من حيث ترتيبها وهذا السلم الحجاجي يقوم على ترتيب الحجج أفقيا.

نصر عبده أعز جنده هزم الأحزاب وحده

ن/ قدرة الله وتأييده

وقد وردت أيضا من الروابط التداولية: ك (الفاء وثم والكاف وغيرها).

نحو ((**فباءوا بالصفقة الرابحة**))، ((**فأخرج القوي من الضعيف**)).

- ✓ **حروف الجر: ((شرع الجهاد في سبيل الله وقاتل لإعلاء كلمة الله حتى استقام دين الحق في نصابه وأدبر الباطل على كثرة أنصاره وأحزابه))**

[1] أبوبكر العزاوي ،اللغة والحجاج،منتديات سور الأزبكية،، الأحمدية،لدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م، ص25 ،26

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص508.

[3] المرجع نفسه ص472.

الملاحظ في هذا المقطع حروف الجر (في) و (اللام).

✓ **حـــــروف النفي:**

وحروفها "لا ،لم و لن، ما" وهي ما يصدق عليها قول انسكومبر ((يوجد في اللغة صرافم [1]،عوامل حجاجية ،تشد الملفوظ وتبدل /توجه أقسام النتائج المرتبطة بالجملة في الملفوظ في بدايته)).[2]

يقول الإبراهيمي: بخصوص النفي ((**فهو قد خرج من أرضكم ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم ولم يخرج من ألسنتكم ولم يخرج من قلوب بعضكم،فلا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه.**))

تكرر النفي هنا ب (لم) على أن الاستعمار خرج ثم يعرج منكرا بأنه لم يخرج من مصالح أرضكم ولم يخرج من الألسنة التي تتكلمون بها كما أنه لم يخرج أيضا من قلوب بعضكم، فجاء النفي هنا لإثبات عدم خروج الاستعمار كلية و فيه دلالة أيضا على أن الكثير من الجزائريين استبدلوا العربية بالفرنسية في قوله :لم يخرج من ألسنتكم، ولازالت أفئدة البعض متعلقة بالمستعمر المستبد، وحبه له وكما يقال خرج الاستعمار من الحقول ولكنه لم يخرج من العقول.

تبين لنا من خلال عرض هذا الفصل أن خطب الإبراهيمي قد تنوعت موضوعاتها، ما بين خطب سياسية، واجتماعية، وأدبية.وذلك لمناسبة حال هذه الخطبة ومقامها.

أما بخصوص خطبة جامع "كتشاوة" فقد احتوت على قدر من الآليات البلاغية المتمثلة في الصور البيانية،والمحسنات البديعية خاصة الاستعارة المكنية التي كان لها الحض الوافر في هذه الخطبة،كما احتوت على الحجج التداولية كالتكرار،والاستشهاد،والحجج الشبه المنطقية كحجة واقع الحال،وحجة المقارنة،وغيرها.أما الروابط الحجاجية فقد أضافت حججا مثلناها بالسلم الحجاجي.

[1] صرافم :مورفيم.

[2] عزالدين الناجح، الروابط الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع،صفاقص تونس، ط1، 2011،ص47.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث نستخلص النتائج التالية:

1) تعد خطبة مسجد "كتشاوة" من أشهر الخطب التي ألقاها الشيخ البشير الإبراهيمي في الجزائر، وهذا يعود إلى المناسبة التي ألقيت فيها، فنجدها جمعت كماً هائلا من الوعظ والتنبيه والتذكير والإرشاد، كما أنَّ المتتبع لها يجدها قد حوت قدراً وافراً من البراهين والأدلة والحجج الدامغة،بغية الإقناع وإيصال فكرته للسامع .
2) يعتبر أسلوب الحجاج من الأساليب البلاغية القوية والمشهورة، وذلك نظراً لأهميته البلاغية، ونجد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مستخدماً لهذَا الأسلوب في العديد من المواطِن، وهذا راجع لدوره البارز في تحدي الخصوم والمعارضين وإخضاعهم وإفحامهم .
3) تعرف البلاغة الجديدة بأنها نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النفوس، وكسب العقول عبر عَرْضِ الحجج،كما هو ظاهر في خطبة مسجد "كتشاوة"، وتهتم البلاغة الجديدة أيضا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب، ثم تَفْحَصِ الآثار الناجِمة عن ذلك التطور.
4) الحجاج هو طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير على السامع، فيكون بذلك الخطاب فعالاً، وهذا معيار أول لتحقيق السمة الحجاجية، غير أنه ليس معياراً كافياً، إذ يجب ألا تَهْمَل طبيعَة السامع (المتقبل) أو المستهدف،فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه، فضلاً على استثمار الناحية النفسية في المتقبل من أجل تحقيق ما يريده الملقي، وهذا ما تجلى في خطبة الإبراهيمي حيث عرض جملة من حجج بطريقة ميسرة منسجمة، مراعياً طبيعة المتلقي وطبيعة المكان والزمان، مستغلاً نفسية الشعب الجزائري الذي استعاد حريته ودينه ووطنه.
5) يعتبر الحجاج دراسة تداولية، وهي التي توفر لنا الأدوات والآليات التي تمكننا من كشف الأساليب والبُنَى المختلفة التي يتضمنها النسيج الخطابي، والتي تعتبر دليلاً على مقدرة الفرد في استعمال لغته، وفي الوقت ذاته على غِنى من هذه اللغة بما تقدمه من خيارات تركيبية ودلالية لهذا الفرد .
6) إن الإشارة إلى الحجاج عند العرب و مؤلفاتهم قديما و مقارنتها ببلاغة الجديدة عند الغرب، أدى إلى نتيجة مفادها بعث البلاغة العربية من جديد، بدراسة غربية حديثة .

7) تتعدد أشكال الحجاج وأنواعه، حيث يقسمه الدكتور "طه عبد الرحمن" إلى ثلاثة أنواع : الحجاج التجريدي الذي يعنى بالشكل فقط والعبارات ودون الاهتمام بالمضمون، والحجاج التوجيهي يهتم فقط بالمخاطب انشغاله وإيصال رسالته إلى المخاطب دون الاهتمام بردة فعله، ثم الحجاج التقويمي الذي لا يتوقف عند حدود المخاطب بل يهتم أيضا بردة فعله، وهذا الأخير ما نجده شائعاً وجلياً في خطبة مسجد "كتشاوة" .

8) يعرف الحجاج التداولي على أنه ذلك الحجاج الذي يركز على الجانب التداولي في الخطاب، فلفظة التداولية تدعو إلى استحضار أفعال الكلام في الخطاب، ورصدها فيه بغرض إخضاع المتلقي وإقناعه .

9) إن مفاهيم السلم الحجاجي والتوجيه الحجاجي يختصان بالعلاقة الحجاجية، سواء أُحْدِدَت هذه العلاقة لسانياً أم اندرجت تداولياً.

10) يعد الشيخ الإبراهيمي من أساطين الأدب وأرباب البيان في الجزائر خاصة والعالم العربي عامة، لكن أعماله جلها لا زالت مخطوطات في الرفوف لم ينفض الغبار عنها بعد، ومع وجود الكثير من الدراسات هناك وهناك، إلا أنها تعد غيضا من فيض، إذا ما قورنت بالزاد العلمي الوفير الذي خلفه هذا الشيخ الإمام، ولعل محاولتنا البسيطة هذه قد تفتح باباً أمام الباحثين في دراسة خطبه بلاغيا وأسلوبيا وسميائيا وتداوليا...و غيرها.

وفي الأخير آملين أن نكون قد وفقنا في هذا العمل المبارك، فإن أصبنا فمن الله وإن أخطئنا فمن أنفسنا والشيطان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الملحقات

ميلاده وتعلمه:(1889م-1965م)

محمد البشير بن عمر الإبراهيمي: رئيس جمعية العلماء المسلمين، وعضو المجامع العلمية العربية في القاهرة، ودمشق، وبغداد، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي ،ولد بقصر الطير، في قبيلة ريغة الشهيرة ب: (أولاد إبراهيم)، بدائرة سطيف .[1]

مرحلة تعلمه وتكوينه:

هذه المرحلة الخصبة المباركة تلقى درسه الأولى عن أبيه وعمه ، ثم في زاوية ابن الشريف في (شلاطة) بجبال القبائل.

هاجر إلى المدينة المنورة عام (1911)، فأتم دراسته العالية فيها في طريقه حط الرحال في مصر التي أقام بها ثلاث أشهر، التقى خلالها بعدد من علمائها و شعرائها و حظر بعض دروس العلم في الأزهر و بعدها أكمل مسيرته وعندها استقر بالمدينة المنورة والتي درس فيها على كبار علمائها الوافدين من كل أنحاء العالم الإسلامي، علم التفسير والحديث، والفقه والتراجم وأنساب العرب وأدبهم، ودواوينهم كما درس علم المنطق والحكمة المشرقية، وأمهات كتب اللغة والأدب ثم أصبح يلقي الدروس للطلبة في الحرم النبوي ويقضي أوقات فراغه في المكتبات العامة والخاصة باحثا على المخطوطات[2].

ثم انتقل إلى دمشق عام (1917)، ، وعمل أستاذا للأدب العربي بالمدرسة السلطانية، كما شارك في تأسيس المجمع العلمي العربي سنة (1921)، وفي نفس السنة عاد إلى الجزائر العربي، وانقطع للخدمة العامة مع رائد النهظة "ابن باديس"[3]

وهكذا كانت إقامته في المشرق مرحلة أخذ وعطاء استطاع فيها أن يستزيد قي العلوم وينمي قدراته ومواهبه فما عاد إلى الجزائر إلا وهو بحر فائض بالمعارف وزهرة عبقة بالروائح.

---

[1] عادل النويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة النويهض للثقافية والترجمة والنشر، بيروت،ط2، 1980م،ص 13.

[2] آثار البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج 2ص 10.

[3] المرجع السابق، ص 13.

لقد استطاع الإبراهيمي بأسلوبه المحنك أن يبعث الوعي الفكري والثقافي وسط الجماهير، أن يوقظ الضمائر من سباتها وجمودها كي تتحرك للدفاع عن كرمتها، وسرعان ما داع صيته واتسعت شهرته و أصبح الأستاذ الأول لفئة الشعب المختلفة، و ضواحي هذه المدينة التاريخية ، ورسول اللغة العربية وباعثها ومحييها ونافث سحرها في النفوس حتى أصبح إذا ما نطق المحدث بالعامية في بعض الدروس استهجنها الناس، فابتهجت روحه لهذا الصدى المبكر في نفوس الجماهير، وبهذه الاستجابة المفقودة التي حركة الهمم في بذل التبرعات وتقديم الإعانات المادية، والهبات المختلفة لبناء المدارس للتعليم العربي الحر، إعلان اللغة العربية شعارا للنهضة العلمية

وفي أرض الجزائر استمر الإبراهيمي يواصل الكلمة الإصلاحية –في العلمة– والتربية، ويهيمن على الدروس بنفس طويل في تلمسان، «فكنت ألقي عشرة دروس في اليوم أبدأها بدرس في الحديث بعد صلاة، وأختمها في درس في التفسير بين المغرب والعشاء و بعد صلاة العتمة .»[1]. ثم ينصرف إلى بعض النوادي ليلقي فيها محاضرة في التاريخ الإسلامي، «ألقيت في الحقبة الموالية بظهور الإسلام من العصر الجاهلي، إلى نبدأ الخلافة العباسية بضع مئات من المحاضرات»، في هذه الفترة من إقامة الشيخ في مدينة تلمسان عقد من 06 إلى 15 سبتمبر (1935) المؤتمر الخامس لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين تحت إشراف الإستاد الكبير الشيخ البشير الإبراهيمي، الذي خطب فيهم خطابا رائعا.

وفي أواخر سنة 1962 م يعود الإبراهيمي إلى الجزائر بعد انتصار الثورة، وبعد اغتراب، واتصل بالشعب الجزائر في أول صلاة أمَّ فيها الجمهور في جامعة (كتشاوة) والتقى برفاق جهاده و بجيل من تلاميذه، واتخذ مدينة الجزائر العاصمة مقرا له.[2]

وفاته

وبعد هذا الجهاد الطويل أسلم الإبراهيمي روحه الطاهرة إلى خالقها يوم الأربعاء الثامن عشر محرم (1355هـ) الموافق لـ 19 ماي (1965م)، فارق الدنيا عن عمر يناهز ستة و سبعين سنة ، و كان ليوم وفاته الأثر البليغ في نفوس الشعب الجزائري ،دفن الشعب جثمان فقيده بمقبرة (سيدي محمد) بالجزائر العاصمة بعد ما أقيمت عليه صلاة الجنازة بالجامع الكبيرة يوم الجمعة 20 محرم (1355هـ) الموافق 21 ماي (1965)م.[1]

[1] محمد البشير الإبراهيمي (أنا)، مجلة الثقافة العدد 104,مصر، 1955م، ص 146.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 61

آثاره:

إن موضوعية الإبراهيمي جعلته يعزف عن التأليف والطبع والتحقيق، فهو لو يكتب الكثير، وحتى الشيء الذي كتبه بقي مخطوطا ولم يصلنا منه إلا القليل، والقسط الكبير من كتاباته وإنتاجه كان قد نشر في جرائد وطنية وعربية وهي عبارة عن مقالات عربية وسياسية واجتماعية ودينية.

آثاره اللغوية و الأدبية :

الآثار اللغوية:

لقد كتب الإبراهيمي الكثير في هذا المجال أما في مقالات أو مخطوطات لكن لم يطبع منه الشيء الكثير ويمكن أن نذكر في هدا المجال من أثاره ما يلي:

1 كتاب بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية في الجزائر: وقد تتبع فيه الإبراهيمي دراسة اللهجة السائدة في مواطن بني هلال بن عامر.

2 :كتاب النفاية في لغة العرب: جمع فيه كل ما جاء على وزن فعالة من مختار الشيء أو مرذوله.

3 :كتاب أسرار الضمائر في العربية .

4: كتاب التسمية بالمصدر.

5 :كتاب الصفات التي جاءت على وزن فعل _بفتح العين_

6 :كتاب نضام العربية في موازين كلامها.

7: كتاب الإضطراد و الشذوذ في العربية .

8: رسالة : في الفرق بين لفظ المضطرد و الكثير عند ابن مالك .

9 :رسالة : في ترجيح أن الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا اثنان .

---

[1] محمد عباس، البشير لإبراهيمي أديباً ص 62

10: رسالة: في مخارج الحروف و صفاتها بين العربية الفصيحة و العامية.[1]

11:كتاب: عيون البصائر: و هو الكتاب الوحيد الذي طبع في حياته , و هو يضم بين طياته مجموعة من المقالات السياسية و الدينية و الفكرية و غيرها, التي كان الإبراهيمي يفتتح بها مقالاته في جريدة البصائر في سلسلتها الثانية و قد اختار الإبراهيمي هذه النقالات بنفسه لتنشر في طبعتها الأولى بمصر و يحتوي هذا الكتاب على 701 صفحة .

12: رواية كاهنة لأوراس: و هي من النثر الجزائري الحديث لم يطبع منها شيء.

13: رواية الثلاثة : و هي عبارة عن مسرحية شعرية تحتوي على 881 بيتا كتبها الإبراهيمي في منفاه في أفلو طبع المسرحية أحد تلامذته، على الآلة الراقنة ، وقدم لها و علق عليها.

14: رسالة الضب : و هو بحث علمي أدبي يتناول فيه الكاتب لحقائق علمية عن أصل هذا الحيوان و فصيلته.

15: كتاب ما أخلت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة.

16: أرجوزة شعرية سماها، صاحبها ملحمة نضمها في المنفى بأفلو، وهي تبلغ ستة وثلثين ألف بيت, كما يقول الإبراهيمي نفسه، و أنها تضمنت فنون في المواضيع «تاريخ الإسلام و ووصف كثير من الفرق التي حدثت في عصرنا هذا ولمجتمع الجزائري بجميع فرقه و نحله و الأفانين في الهزل للمذاهب الاجتماعية و السياسية... و الإنحاء على الابتداع في الدين و تصغير لأولياء الشياطين ومحاورات أدبية رائعة بينهم و بين الشياطين و وصف لاستعمار و مكائده و دسائسه و حياله و تخديرا ته للشعوب للقضاء على مقوماتها»[2]

17: كتاب أثار الشيخ الإبراهيمي: و هو يشتمل على ما كتبه في المرحلة الأولى من حياته في الحقل الوطني بعد عودته من المشرق العربي في العشرينيات من هذا القرن[3] إلى نهاية الثلاثينيات،و هذا الكتاب تتوزعه مواضيع اجتماعية وسياسية وثقافية ودينية، وجمع هذه المقالات نخبة من تلاميذ الشيخ الإبراهيمي.

[1] محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص 71

[2] محمد البشير الإبراهيمي (أنا) مجلة الثقافة، العدد104 ،ص 102

[3] المرجع نفسه ،ص .102

18: آثار محمد البشير الإبراهيمي: وهو الجزء الثالث الذي يتناول مقالات أدبية واجتماعية وسياسية، صحفية وقرارات جمعية العلماء، وهو يحتوي على كتابات الإبراهيمي التي نشرها في جريدة البصائر، وظهر هذا الكتاب في الجزائر في شهر أكتوبر 1986م.[1]

لقد امتاز الإبراهيمي بغزارة فكره، في العلوم العربية، والعلوم الإسلامية، ما يدل على سعته الشاملة وتبحره فيها، وهذا الإنتاج لهو خير دليل على ذلك.

[1] محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا ، ص 74

نموذج الخطبة

الحمدُ لله ثمَّ الحمدُ لله تعالَت أسماؤُه وتمَّتْ كلماتُه صدقًا وعدلاً، لا مبدِّل لِكلماته، جعل الرزق يتنزل من عنده على ما يشاءُ من عبادِه حيث يَبتليهِم فيعلَم المصْلِحَ من المفسِد، ويعلَم صدق يقينَهم وإخلاص نياتِهم، وصفَاء سرائِرِهم، وطهَارة ضمَائِرهم.

سبحانهُ وتعالَى جعل اللَّيل فرقانًا بين الحقِّ والباطِل، وأنتج من المتضَادَات أضدادَها، فأخرج القوَّة من الضَعف، وَوَلد الحُرية من العُبودية، وجعل الموْت طريقًا إلى الحيَاة، وما أعذَب الموت إذا كان للحياة طريقًا، وبايَعهُ عبَاده المؤمنُون الصَادقُون على الموْت، فبَاعُوا بالصفْقَة الرابِحَة، ﴿اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً﴾...

سبحانهُ وتعالى جدُه، تجَلى على بعضِ عِبادِه بالغضبِ والسخَطِ، فأحالَ مساجِد التوحيد بين أيديهم إلى كنائس للتثليث، وتجلَى برحمتِه ورضاهُ على آخرين فأحَال فيهم كنائس التَثليث إلى مساجِد للتوحيد، وما ظلَم الأوَلين ولا حابَى الآخرين، ولكنها سنَتَهُ في الكوْن وآيَاتُه في الآفَاق يتبعُها قومٌ فيفلِحُون، ويُعرِض عنها قومٌ فيَخسرون.

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده، صدق وعده ونصَرَ عبده وأعزَّ جنده، وهزَم الأحزاب وحدَه.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله شرَعَ الجهاد في سبيل الله، وقاتَل لإعْلاَءِ كلمةِ الله حتى استقامَ دينُ الحقِّ في نصابِه، وأدبرَ الباطل على كثرةِ أنصارِه وأحزابِه، وجعل نصْر الفئَة القلِيلَة على الفئَة الكثيرة مَنوطًا بالإيمانِ والصبر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وكلِ متّبع لهداهُ، داعٍ بدعوته إلى يومِ الدِين.

ونَسْتَنْزِلُ من رحمات الله الصَيّبة، وصلواته الزاكِية الطيّبة لشهدائِنا الأبرار ما يكون كفَاءَ لبطولاتهم في الدفاع عن شرف الحياة وحُرمات الدين وعزة الإسلام وكرامة الإنسان وحقوق الوطن.

وأستمِدُ من الله اللُطْفَ والإعَانَة لبقاياَ الموت وآثارِ الفناءِ ممنْ ابْتَلَوْا في هذه الثورة المباركة بالتعذيب في أبدانهم والتخريب لديارهم والتحيُّف لأموالهم.

وأسأله تعالى للقائمين بشؤون هذه الأمة ألْفَةً تجمَعُ الشَمْلَ، ووحْدةً تبعثُ القوّةَ، ورحمةً تضمّدُ الجراح، وتعاوناً يثْمِر المنفعة، وإخلاصا يهوّنُ العسير، وتوفيقًا ينير السبيل، وتسديدًا يقوّمُ الرأي ويثبّتُ الأقدَام، وحكمةً مستمدةً من تعالِيم الإسلام ورَوحانِية الشَرق وأمجادِ العرب، وعزيمة تَقطع دابر الاستعمار من النفوس، بعد أن قطعت دابره من الأرض.[1]

[1] الخطبة مأخوذة من كتاب آثار البشير الإبراهيمي، ج5، ص305.

ونعوذ بالله ونبرأُ إليهِ من كل داعٍ يدعُو إلى الفُرقة والخِلاف، وكلِّ ساعٍ يسعى إلى التفريق والتمزيق وكل ناعِقٍ ينعَقُ بالفتنة والفساد.

وتُحيِي بالعمار والثمار والغيث المِدرَار هذه القطعة الغالية من أرض الإسلام التي نسمِيها الجزائر، والتي فيها نبتنا، وعلى حبِها ثَبتنا، ومن نباتها غُذِّينا وفي سبيلها أُوذِينا.

أُحَيِّيكَ يَا مَغْنَى الكَمَالِ بِوَاجِبٍ """" وَ أُنْفِقُ فِي أَوْصَافِكَ الغُرِّ أَوْقَاتِي

يا أتباع محمد عليه السلام هذا هو اليوم الأزهر الأنور، وهذا هو اليوم الأغرُ المحَجَل، وهذا هو اليومُ المشهود في تاريخكم الإسلامي بهذا الشمال، وهذا اليوم هو الغرَّة اللائحة في وجْهِ ثورتكم المباركة، وهذا هو التاج المتألِق في مفرقها، والصحيفة المذهبة الحواشِي والطُرَرُ من كِتابِها.

وهذا المسجد هو حصة الإسلام من مغانم جهادكم، بل هو وديعَةُ التاريخ في ذممكم، أضعتموها بالأمس مقهورين غير معْذُورين واسترْجَعتُموها اليوم مشكورين غير مكْفُورين، وهذه بضاعَتُكم ردَتْ إليكم، أخذها الاستعمار مِنكُم استلابًا، وأخذتموها منه غلاباً، بل هذاَ بيتُ التوحيدِ عاد إلى التوحيدِ، فالتَقَيْتُم جميعًا على قدَر.

إن هذه المواكِب الحاشِدَة بِكُم من رجال ونساء يغْمُرُها الفَرح، ويطفح على وجوهها البِشر لتجسيد ذلك المعنى الجليلِ، وتَعبير فصيحٍ عنه، وهو أن المسجد عاد إلى الساجدين الرَّكِعِ من أمَةِ محمد، وأن كلمَة لا إله إلاّ الله عادت لمستقرِها منهُ كأنَّ معناها دَام مستقِرًا في نفوسِ المؤمنين، فالإيمان الذي تُتَرجم عنه كلِمَة لا إله إلاّ الله، هو الذي أعاد المسجد إلى أهلِهِ، وهو الذي أتَى بالعجائِبِ وخوارِقِ العادات في هذه الثورة.

وأما والله لو أن الاستعمار الغاشِم أعاده إليكم عَفوًا من غيرِ تعبٍ، وفيئَةً منهُ إلى الحقِّ من دون نصَب، لما كان لهذا اليوم ما تشهدونه من الروْعَة والجَلاَل.

يا معشَر الجزائريين :

إذا عُدَّت الأيامُ ذوَات السِمَات، والغُرَرُ والشِيَاتُ في تاريخ الجزائر فسَيكون هذا اليوم أوضَحَها سِمَةً وأطوَلها غُرةً وأثبتَها تَمجيدًا، فاعْجبُوا لتصاريف الأقدَار، فلقد كنا نَمُرُ على هذه السَاحة مُطْرِقِين، ونشْهد هذا المشهَدَ المحزِن منْطوِين على مَضَضْ يُصْهِرُ الجَوانِح ويسِيلُ العَبَرات، كأن الأرض تلْعَنُنَا بما فرَّطْنَا في جنْبِ دِينِنَا، وبما أضَعْنا مما كسَبَت أيدينا من مِيراث أسلافِنا، فلا نملِكُ إلاّ الحوقلة والاسْترجَاع، ثم نرْجِعُ إلى مطالبَاتٍ قَولِيةٍ هي كل ما نملك في ذلك الوقت، ولكنها نبَّهَتِ الأذْهَان، وسجَّلَت الاغْتِصَاب، وبَذَرَت بذور الثورة في النفوس حتى تكَلمَتِ البنادقُ.

أيُّها المؤمنون:

قد يبغِي الوحش على الوحش فلا يكون ذلِك غريبًا، لأن البَغْيَ مما ركِّبَ في غرائِزِه، وقد يَبْغي الإنسان فلا يكون

ذلِك عجيبًا لأن في الإنسان عرقًا نزاعًا إلى الحيوانية وشيطانًا نَزَّاغًا بالظلم، وطبعًا من الجِبِلَة الأولى ميَالًا إلى الشَّر، ولكن العجيب الغريب معًا، والمؤلم المحزِن معًا، أن يبْغِي دينُ عيسى روحُ الله وكلمَتُه على دينِ محمدٍ الذي بشّرَ به عيسى روحُ الله وكلِمَتُه.

يا معشر المؤمنين:

إنَّكُم لم تَستَرجِعُوا من هذا المسجد سُقوفَه وأبوابه وحِيطَانَه، ولا فَرِحتُم باسترجاعِه فرحةَ الصِبيان ساعةً ثمَّ تنقَضي، ولكنَّكُم استرجَعتُم معانِيه التي كان يدُلُ عليها المسجد في الإسلام ووَظائِفَهُ التي كان يؤَدِيها من إقامَة شعائِرِ الصلواتِ والجُمَع والتلاَوَة ودرُوسِ العِلم النافِعَة على اختلاف أنواعها، من دينية ودُنيَوِية، فإن المسجد كان يؤدي وظِيفَةَ المعهد والمدرسةِ والجامعةِ.

أيُّها المسلمون:

إن الله ذمَّ قومًا فقال ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾، ومدَحَ قومًا فقال :﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

يا معشر الجزائريين :

إن الاستعمَار كالشيطانِ الذي قالَ فيه نبِيُنا صلى الله عليه وسلم " :**إنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ، ولَكِنَهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا دُونَ ذَلِك** "، فهو قد خرَجَ من أرضِكُم ولَكِنَهُ لم يخْرُجْ من مصالِحِ أرضِكُم ولم يخرُجْ من ألسِنَتِكُم، ولم يخْرُج من قُلُوبِ بعضِكُم، فلا تعامِلُوه إلاَّ فِيمَا اضْطُرِرْتُم إلَيهِ، ومَا أبيحَ للضرورة يَقدِّرُ بقدَرِها.

يا معشر الجزائريين:

إن الثورة قد تركت في جسم أمتكم ندوبًا لا تندَمِل إلاَّ بعد عشرات السنين، وتركت عشَراتِ الآلاف من اليتامى والأيامَى والمشوَهِين، الذين فقدُوا العائِل والكافِل وآلة العَمَل، فاشمَلُوهم بالرعايَةِ حتى يَنْسَى اليتيمَ مرارةَ اليُتْمِ، وتنسَى الأيْمُ حرارة الثَكَل، وينْسَى المشَوَهَ أنَّهُ عَالَةٌ علَيْكُم، وامْسَحُوا على أحزانِهِم بِيَدِ العطْفِ والحنانِ فإنهُم أبناؤكُم وإخوانُكُم وعشِيرتُكُم.

يا إخواني:

إنكم خارجون من ثورة التَهَمَتِ الأخْضَرَ واليَابِسَ، وإنَّكُم اشْتَرَيْتُم حُريتَكُم بالثَمَنِ الغالِي، وقَدَّمْتُم في سَبِيلِهَا من الضَحايَا ما لَمْ يقَدِّمْهُ شعْبٌ من شعُوبِ الأرضِ قديمًا ولا حديثًا، وحُزْتُم من إعجاب العالم بِكُم ما لم يَحُزْهُ شعبٌ ثَائِرٌ، فاحْذَرُوا أنْ يركَبكُم الغُرُور ويَسْتَزِلَكُم الشَّيْطَان، فتُشَوِّهُوا بسُوءِ تدْبِيرِكُم محَاسِن هَذِهِ الثورةِ أو تَقْضُوا على

هذِهِ السُمْعَةِ العَاطِرَة.

إن حكومتكم الفَتِيَّةِ منْكُمْ، تَلقَتْ تَرَكَةً مثْقَلَةً بالتَكَالِيفِ والتَبِعَات في وقْتٍ ضَيّقٍ لم يُجَاوِز أسَابِيعَ، فأعِينُوهَا بِقوَّةٍ، وانصحُوهَا في ماَ يجِبُ النُصْحَ فِيهِ بالتي هيَ أحسنُ، ولا تقْطَعُوا أَوْقاتَكُم في السَفَاسِفِ والصَغَائِر، وانْصَرِفُوا بجمِيعِ قُوَاكُم إلى الإصْلَاحِ والتَجْدِيدِ، والبِنَاءِ والتَشْيِيدِ، ولا تجعَلُوا للشَيطَانِ بيْنَكُم وَبيْنَهَا مَنْفَذًا يَدْخُلُ مِنْهُ، ولاَ لِحُظُوظِ النَفْسِ بَيْنَكُم مَدْخلاً.

وَفَقَكُم اللهُ جمِيعًا، وأجْرَى الخَيْرَ علَى أيدِيكُم جَمِيعًا، وجمَعَ أيدِيكُم على خدمَةِ الوطَنِ، وقُلُوبَكُم على المحَبَةِ لأبنَاءِ الوطَنِ، وجَعَلكُم متَعَاوِنِين على البِرِ والتَقْوَى غيرَ متَعَاوِنِين على الإثْمِ والعُدْوَان.

قالَ تعَالى :﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾.

أَقُولُ قَوْلِيَ هَذَا واسْتغْفِرُ الله العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَهُوَ الغَفُورُ الرَحِيمُ.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم** (رواية حفص عن عاصم).

1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي، دار المغرب الإسلامي، ط1، 1997م.
2) أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون الناشر دار الفكر،ط1، 1979م.
3) أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار النهضة للطباعة والنشر و التوزيع، دط، 2002 م.
4) الحسن أبو الهلال أبي عبد الله ابن سهل العسكري، الصناعتين، تح: عبد السلام هارون ومحمد أبو الفضل، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1998م.
5) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي _الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية تح: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة بيروت،دط، 1992م.
6) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، دت، دط.
7) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الدار البيضاء بالمغرب،ط2006،1م.
8) حمادي محمود، من تجليات الخطاب البلاغي ، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1999م.
9) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة،بنيته وأساليبه، جدارا للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث الأردن، ط1، 2008م.
10) سامية الدريدي، دراسات في الحجاج ، عالم الكتاب الحديث المتحدة، ط2009،01م.
11) سليمان بن خلف أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط،20013م.
12) سعد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة،(الخطاب)، الدار البيضاء بالمغرب، 1985م.
13) صابر حبابشة، التداولية والحجاج، مداخل نصوص، دار الصفحات للدراسات والنشر سوريا دمشق، ط1، 2008م.
14) صلاح فضل،بلاغة الخطاب وعلم النص،عالم المعرفة، دط، 1980م.

15)طه عبد الرحمان، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ، المركز الثقافي الدار البيضاء المغرب، ط1، 1998م.

16)عادل النويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحديث، مؤسسة النويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر، بيروت، ط2، 1980م.

17)عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، شرح و تعليق محمد عبد المنعم الخفاجي، عزيز شرف، دار الجيل بيروت،ط1، 1998م.

18)عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: دار المعرفة بيروت، ط01، 1932م.

19)عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، شرح وتعليق محمد عبد المنعم الخفاجي،عزيز شرف،دار الجيل،بيروت، ط1، 1991م.

20)عبد القادر بن عمر البغدادي_ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب_ تح: عبد السلام هارون، ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط4، 1997م.

21)عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، 1931 /1945 _ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983م.

22)عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت، ط1، 2004م.

23)عبد الله ابراهيم، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999م.

24)عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية ، تونس،دط، دت.

25)عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة،ط1، دت.

26)عز الدين الناجح، الروابط الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، للنشر والتوزيع، صفاقص تونس،ط1، 2011م.

27)عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ، الكتاب الثاني البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون مطبعة المدني ،مؤسسة السعودية بحصر، ناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1998م.

28)لويس معلوف، المنجد في اللغة العربية، دار الشرق، بيروت،دط، 2000م.

29)محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (باب الزكاة) تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة،ط1، 2001م.

30)محمد بن منظور الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب،(مادة خطب) طبعة دار الأجيال ودار لسان العرب، بيروت، ط1، 1988م.

31) محمود بن عمر الزمخشري جار الله أبو القاسم، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط 1، 1998م.

32)محمود بن عمر الزمخشري جار الله أبو القاسم، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، تح: الشريف علي بن محمد بن علي السيد و أحمد بن محمد الاسكندري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2006م.

33)محمد الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، دار سحنون النشر و التوزيع، تونس،دط، 1984م.

34)محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، دار السلام للطابعة والنشر، دار سحنون للطباعة،تونس، ط2، 2007م.

35)محمد العدناني، معجم الأخطاء الشائعة،(مادة خطب)، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، 1980م.

36)محمد آيت حمود، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، مطبوعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2006م

37)محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ديوان المطبوعات الجامعية المطبعة الجهوية بوهران، دط، دت.

38)محمد القاضي، الحجاج أطره ومنطلاقاته، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية،كلية الأدب جامعة منوبة، تونس،دت، دط.

39)محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2006م

40)مجمع اللغة العربية، ألفاظ القرآن الكريم،(مادة خطب)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة، دط،1996م.

41)مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط،(خطب)، أخرجه إبراهيم مصطفى و آخرون، دار الدعوة اسطنبول، دط، 1990م.

42)مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2001 م.

43)منذر العياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط 1، 2002م.

(المجلات)

44) جلال محمد مهدي العقيدي، لغة الحكمة واقناع المخاطب في أسلوب الخطاب النبوي، مجلة العميد، المحكمة الفصلية، العدد الخاص 2، السنة الثانية 2013 جامعة بغداد.

45)عبد الله الركيبي، الخطابة في النثر الجزائري الحديث، مجلة الأصالة، العدد 25 جوان 1975، جامعة الجزائر.

46)هاجر مذقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان و نظرية البرهان، مجلة الأثر، العدد الخامس 2005، الجزائر.

47)محمد البشير اللإبراهيمي، مجلة "من أنا" ، ونشرت في 1955م. مجلة المصور المصرية.

(المذكرات ورسائل التخرج)

48)حسن بوبلوطة، الحجاج في كتاب الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيدي،" مذكرة الماجستير"،جامعة الحاج لخضر باتنة، تخصص لسانيات الخطاب، السنة الجامعية 2010/2009م.

49)محمد ملياني، الأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي،"مذكرة ماجستير" جامعة وهران، كلية الآداب واللغات و الفنون، السنة الجامعية 2012/2011م.

50)نعيمة يعمرانن، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير" مذكرة الماجستير"، جامعة مولود معمري تيزي وزو،كلية الآداب واللغات، السنة الجامعية 2012/2011م.

فهـــــرس

الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
مدخل	07
الفصل الأول:	14
تعريف الحجاج لغة واصطلاحاً	15
أنواع الحجاج	18
الحجاج عند العرب والغرب.	20
الحجاج في القرآن الكريم. والحديث النبوي الشريف	23
الفصل الثاني:	28
خطب الابراهيمي وموضوعاتها	29
تجليات الحجاج في خطبة مسجد "كتشاوة"للبشير الإبراهيمي	33
أ- الآليات البلاغية.	34
ب- الحجج المنطقية وشبه المنطقية.	38
ج- الروابط الحجاجية.	43
الخاتمة.	46
الملحقات.	49
قائمة المصادر والمراجع.	59
فهرس الموضوعات.	64